٥٠١
ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة

ذكر قتل صدقة بن مَزْيد

في هذه السنة، في رجب، قُتل الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دُبَيْس بن مَزْيَد الأسَديُّ، أمير العرب، وهو الذي بنى الحِلّة السيفية بالعراق، وكان قد عظُم شأنه، وعلا قدره، واتّسع جاهه، واستجار به صغار الناس وكبارهم، فأجارهم.

وكان كثير العناية بأمور السلطان محمّد، والتقوية ليده، والشدّ منه على أخيه برْكيارُق، حتّى إنّه جاهر برْكيارُق بالعداوة، ولم يبرح على مصافاة السلطان محمّد، وزاده محمّد إقطاعاً من جملته مدينة واسط، وأذِن له في أخذ البصرة. ثم أفسد ما بينهما العميد أبو جعفر محمّد بن الحسين البلْخيُّ، وقال[١] في جملة ما قال عنه: إنّ صدقة قد عظُم أمره، وزاد حاله، وكثُر إدلاله، ويبسط في الدولة حمايته على كلّ من يفرّ إليه من عند السلطان، وهذا لا تحتمله الملوك لأولادهم، ولو أرسلتَ بعض أصحابك لملك بلاده وأمواله.

ثم إنّه تعدّى ذلك حتّى طعن في اعتقاده، ونسبه وأهل بلده إلى مذهب الباطنيّة، وكذب[٢]، وإنّما كان مذهبه التشيّع لا غير، ووافق أرغونُ السعديُّ أبا جعفر العميد وانتهى ذلك إلى صدقة، وكانت زوجة أرغون بالحِلّة وأهله، فلم يؤآخذهم بشيء ممّا كان له أيضاً هناك [من] بقايا خراجٍ ببلده، فأمر صدقة أن يخلص ذلك إليه[٣] بأجمعه[٤] ويسلّم إلى زوجته.

---

(١) في (ب): «وكان».
(٢) من (ب).
(٣) من الباريسية.
(٤) في الأوربية: «بأجمع».

وأمّا سبب قتله فإنّ صدقة كان، كما ذكرنا، يستجير به كلّ خائف من خليفةٍ وسلطانٍ وغيرهما، وكان السلطان محمّد قد سخط على أبي دُلَف سُرخاب بن كَيخَسْرو، صاحب ساوة وآبة[1]، فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به، فأجاره، فأرسل السلطان يطلب من صدقة أن يسلّمه إلى نوّابه، فلم يفعل، وأجاب: إنّني لاأمكّن منه بل أحامي عنه، وأقول ما قاله أبو طالب لقُريش لمّا طلبوا منه رسول الله ﷺ:

ونُسلِمُه حتّى نُصرَّع حولَه ونَذهَلُ عن أبنائِنا والحلائلِ[2]

وظهر منه أمور أنكرها السلطان، فتوجّه إلى العراق ليتلافى هٰذا الأمر، فلمّا سمع صدقة استشار أصحابه في الذي يفعله، فأشار عليه ابن دُبَيْس بأن ينفذه إلى السلطان ومعه الأموال، والخيل، والتُّحف، ليستعطف له السلطان، وأشار سعيد بن حُمَيْد، صاحب جيش صدقة، بالمحاربة، وجمْع الجُند، وتفريق[3] المال فيهم، واستطال في القول، فمال صدقة إلى قوله، وجمع العساكر، واجتمع إليه عشرون ألف فارس، وثلاثون ألف راجل، فأرسل إليه المستظهر بالله يحذّره عاقبة أمره، وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان، ويعرض له توسّط الحال، فأجاب صدقة: إنّني على طاعة السلطان، لكن لا آمن على نفسي في الاجتماع به؛ وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء عليّ بن طِراد الزينبيّ.

ثم أرسل السلطان أقضى القضاة أبا سعيد الهرويَّ إلى صدقة يطيّب قلبه، ويزيل خوفه، ويأمره بالانبساط على عادته، ويعرّفه عزمه على قصد الفرنج، ويأمره بالتجهّز للغزاة معه. فأجاب: إنّ السلطان قد أفسد أصحابُه قلبَه عليّ، وغيّروا حالي معه، وزال ما كان عليه في حقّي من الإنعام؛ وذكَرَ سالف خدمته ومناصحته، وقال سعيد بن حُميد، صاحب جيشه: لم يبقَ لنا في صُلح السلطان مطمع، ولَتَروُنّ[4] خيولنا بحُلوان[5]؛ وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان.

ووصل السلطان إلى بغداذ في العشرين من ربيع الآخر، ومعه وزيره نظام المُلك أحمد بن نظام المُلك، وسيّر البُرسُقيَّ، شِحنة بغداذ، في جماعة من الأمراء إلى صَرْصَر، فنزلوا عليها.

---

(١) في (ب): «وآوة».

(٢) من قصيدة طويلة في سيرة ابن هشام (بتحقيقنا) ١/ ٣٠٧.

(٣) من (ب).

(٤) في الأصل مصحّفة «ولىرىر».

(٥) في الأصل مصحّفة «محلون».

وكان وصول السلطان، جريدةً، لا يبلغ عسكره ألفَيْ فارس، فلمّا تيقّن ببغداذ مكاشفة صدقة، أرسل إلى الأمراء يأمرهم بالوصول إليه، والجدّ في السير، وتعجيل ذلك، فوردوا إليه من كلّ جانب.

ثم وصل كتاب صدقة إلى الخليفة، في جمادى الأولى، يذكر أنّه واقف عند ما يُرسم له ويقرَّر من حاله مع السلطان، ومهما أمرتَه[1] من ذلك امتثله؛ فأنفذ الخليفة الكتاب إلى السلطان، فقال السلطان: أنا ممتثل ما يأمر به الخليفة، ولا مخالفة عندي. فأرسل الخليفة إلى صدقة يعرّفه إجابة السلطان إلى ما طلب منه، ويأمره بإنفاذ ثقته ليستوثق له، ويحلف السلطان على ما يقع الاتّفاق عليه. فعاد (صدقة عن ذلك الرأي، وقال: إذا رحل السلطان عن بغداذ)[2] أمددتُه بالمال والرجال، وما يحتاج إليه في الجهاد، وأمّا الآن، وهو ببغداذ، وعسكره بنهر الملك، فما عندي مال ولا غيره، وإنّ جاولي سقاوو، وأيلغازي بن أرتُق، قد أرسلا إليّ بالطاعة لي والموافقة معي على محاربة السلطان وغيره، ومتى أردتُهما وصلا إليّ (في عساكرهما.

وورد إلى)[3] السلطان قِرواش بن شرف الدولة، وكرماوي بن خُراسان التركمانيُّ، وأبو عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجرّاح الطائيّ، وآباؤه كانوا أصحاب البَلْقَاء والبيت المقدّس منهم: حسّان بن المفرّج الذي مدحه التّهاميّ[4]؛ وكان فضل تارة مع الفرنج، وتارة مع المصريّين، فلمّا رآه طُغتِكين أتابَك على هذه الحال طرده من الشام، فلمّا طرده التجأ إلى صدقة وعاقده، فأكرمه صدقة، وأهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عيناً[5].

فلمّا كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان سار في الطلائع، ثم هرب إلى السلطان، فلمّا وصل خلع عليه وعلى أصحابه، وأنزله دار صدقة ببغداذ، فلمّا سار السلطان إلى قتال صدقة استأذنه فضل في إتيان البريّة ليمنع صدقة من الهرب إن أراد ذلك، فأذن له، فعبر بالأنبار وكان آخ[illegible] العهد به.

وأنفذ السلطان في جمادى [illegible]ولى إلى واسط الأمير محمّد بن بوقا التركمانيَّ، فأخرج عنها نائب صدقة، وأمّن الناس كلّهم، إلاّ أصحاب صدقة، فتفرّقوا، ولم يُنهب

---

(١) في (ب): «أمر به».

(٢) في الباريسية: «الجواب بأن السلطان إذا صار بالموصل».

(٣) من (ب).

(٤) انظر ديوان أبي الحسن التهامي، في مدح حسّان ص ١٤٣ و ١٥٥ و ١٩٢ (الطبعة الثانية).

(٥) من الباريسية.

أحد؛ وأنفذ خيله إلى بلد قُوسان، وهو من أعمال صدقة، فنهبه أقبح نهب، وأقام عدّة أيام، فأرسل صدقة إليه ثابت بن سلطان، وهو ابن عمّ صدقة، ومعه عسكر، فلمّا وصلوا إليها خرج منها الأتراك، وأقام ثابت بها، وبينه وبينهم دجلة.

ثم إنّ ابن بوقا عبّر جماعةً من الجُند ارتضاهم، وعرف شجاعتهم، فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم، يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعاً، فقصدهم ثابت وعسكره فلم يقدروا أن يقربوا الترك من النشّاب، والمدد يأتيهم من ابن بوقا، وجُرح ثابت في وجهه، وكثُر الجراح في أصحابه، فانهزم هو ومَن معه، وتبِعهم الأتراك، فقتلوا منهم وأسروا، ونهب طائفة من الترك مدينة واسِط، واختلط بهم رجّالة ثابت، فنهبت معهم، فسمع ابن بوقا الخبر، فركب إليهم ومنعهم، وقد نهبوا بعض البلد، ونادى في الناس بالأمان، وأقطع السلطان، أواخر جُمادى الأولى، مدينة واسط لقسيم الدولة البُرْسُقيُّ وأمر ابن بوقا قصد بلد صدقة ونهْبه، فنهبوا فيه ما لا يُحدّ.

وأمّا السلطان محمّد، فإنّه سار عن بغداذ إلى الزَّعْفرانيّة، ثاني جمادى الآخرة[1]، فأرسل إليه الخليفة وزيره مجد الدين بن المطّلب يأمره بالتوقّف، وترْك العجلة خوفاً على الرعيّة من القتل والنهب؛ وأشار قاضي أصبهان بذلك، واتّباع أمر الخليفة، فأجاب السلطان إلى ذلك، فأرسل الخليفة إلى صدقة نقيب النقباء عليَّ بن طِراد، وجمال الدولة مختصّاً الخادم، فسارا إلى صدقة فأبلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة السلطان، وينهاه عن المخالفة، فاعتذر صدقة، وقال: ما خالفتُ الطاعة، ولا قطعتُ الخطبة في بلدي. وجهّز ابنَهُ دُبَيْساً ليسير معهما إلى السلطان.

(فبينما الرسل)[2] وصدقة في هذا الحديث، إذ ورد الخبر أنّ طائفة من عسكر[3] السلطان قد عبروا من مَطيراباذ، وأنّ الحرب بينهم وبين أصحاب صدقة قائمة على ساق، فتجلّد صدقة لأجل الرسل، وهو يشتهي الركوب إلى أصحابه خوفاً عليهم، وكان الرسل إذا سمعوا ذلك ينكرونه لأنهم قد تقدّموا إلى العسكر، عند عبورهم عليهم، أنّه لا يتعرّض أحد منهم إلى حرب، حتّى نعود[4]، فإنّ الصلح قد قارب. فقال صدقة للرسول: كيف أثق أرسل ولدي الآن، وكيف آمن عليه، وقد جرى ما ترون؟ فإن

---

(١) في (ب): «الأولى».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (ب): «أصحاب».
(٤) في (ب): «يعودوا».

تكفّلتم[1] بردّه إليَّ أنفذتُه. فلم يتجاسروا على كفالته، فكتب[2] إلى الخليفة يعتذر عن إنفاذ ولده بما جرى.

وكان سبب هذه الوقعة أنّ عسكر السلطان لمّا رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح، فقال بعضهم: الرأي أنّنا ننهب شيئاً قبل الصلح؛ فأجاب البعض وامتنع البعض، فعبر من أجاب النهر، ولم يتأخّر من لم يجب لئلاّ يُنسب إلى خَوَرٍ وجُبن، ولئلاّ يتم على من عبر وهنٌ، فيكون عاره وأذاه عليهم، فعبروا بعدهم أيضاً، فأتاهم أصحاب صدقة وقاتلوهم، فكانت الهزيمة على الأتراك، وقُتل منهم جماعة كثيرة، وأُسر جماعة من أعيانهم وكثير من غيرهم، وغرق جماعة منهم: الأمير محمّد بن ياغي[3] سيان الذي كان أبوه صاحب أنطاكية؛ وكان عمره نيّفاً وعشرين سنة، وكان مُحِبّاً (للعلماء وأهل الدين)[4]، وبنى[5] بإقطاعه من أَذْرَبِيجان عدّة مدارس. ولم يَجسر[6] الأتراك على أن يعرّفوا السلطان بما أُخذ منهم من الأموال والدوابّ خوفاً منه، حيث فعلوا ذلك بغير أمره.

وطمع العرب بهذه الهزيمة، وظهر منهم الفخر والتيه والطمع، وأظهروا أنّهم باعوا كلّ أسير بدينار، وأنّ ثلاثة باعوا أسيراً بخمسة قراريط وأكلوا بها خبزاً وهريسة، وجعلوا ينادون: من يتغدّى بأسير، ويتعشّى بآخر؟ وظهر من الأتراك اضطّراب عظيم.

وأعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتحرير أمر الصلح، فأجاب أنّه لا يخالف ما يؤمر به، وكتب صدقة أيضاً إلى السلطان يعتذر ممّا نُقل عنه، ومن الحرب التي كانت بين أصحابه وبين الأتراك، وأنّ جُند السلطان (عبرت إلى)[7] أصحابه، فمنعوا عن أنفسهم بغير علمه، وأنّه لم يحضر الحربَ، ولم ينزع يداً من طاعة، ولا قطع خطبته من بلده.

ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب، فأرسل الخليفة نقيب النقباء، وأبا سعد الهرويَّ إلى صدقة، (فقصدا السلطان أوّلاً، وأخذا يده بالأمان لمن يقصده من أقارب صدقة، فلمّا وصلا إلى صدقة)[8] وقالا له عن الخليفة: إنّ إصلاح قلب السلطان

---

(١) في الأوربية: «تكلّفتم».

(٢) في (ب): «فأرسل».

(٣) في الأصل: «باغي»، وفي طبعة صادر ١٠/٤٤٥ «ياغي».

(٤) في (ب): «للعلم والدين».

(٥) في الأوربية: «وبنا».

(٦) في (ب): «يتجاسر».

(٧) في (ب): «عزوا».

(٨) من الباريسية.

موقوف على إطلاق الأسرى، وردّ جميع ما أُخذ من العسكرالمنهزم، فأجاب أوّلاً بالخضوع والطاعة، ثم قال: لو قدرتُ على الرحيل من بين يدي السلطان فعلتُ، لكن ورائي مِن ظهري، وظهر أبي وجدّي، ثلاثمائة امرأة، ولا يحملهنّ مكان، ولو علمتُ أنّني إذا جئتُ السلطانَ مستسلماً قبلني واستخدمني لفعلتُ، لكنّني أخاف أنّه لا يُقيل عثرتي[1]، ولا يعفو عن زلّتي.

وأمّا ما نُهب فإنّ الخلق كثير، وعندي من لا أعرفه، وقد نهبوا ودخلوا البرّ، فلا طاقة لي عليهم، ولكنْ إن كان السلطان لا يعارضني فيما في يدي، ولا فيمن أجرتُه، وأن يقرّ سُرخاب بن كَيْخسرو على إقطاعه بساوة، وأن يتقدّم إلى ابن بوقا بإعادة ما نهب من بلادي، وأن يخرج وزير الخليفة يحلّفه بما أثق به من الأيمان على المحافظة فيما بيني وبينه، فحينئذ أخدم بالمال، وأدوس بساطه بعد ذلك.

فعادوا بهذا، ومعهم أبو منصور بن معروف رسول صدقة، فردّهم الخليفة، وأرسل السلطان معهم قاضي أصبهان أبا إسماعيل، فأمّا أبو إسماعيل فلم يصل إليه، وعاد من الطريق، وأصرّ صدقة على القول الأوّل. فحينئذ سار السلطان، ثامن رجب، من الزعفرانيّة، وسار صدقة في عساكره إلى قرية مَطَر، وأمر جنده بلبس السلاح، واستأمن ثابت بن سلطان بن دُبَيْس بن عليّ بن مَزْيَد، وهو ابن عمّ صدقة، إلى السلطان محمّد، وكان يحسد صدقة، وهو الذي تقدّم ذكره أنّه كان بواسط، فأكرمه السلطان، وأحسن إليه، ووعده الإقطاع.

ووردت العساكر إلى السلطان منهم: بنو بُرْسُق، وعلاء الدولة أبو كاليجار كرشاسب بن عليّ بن فرامرز، (أبي جعفر بن كاكاوَيْه وآباؤه كانوا أصحاب أصبهان، وفرامرز)[2] هو الذي سلّمها إلى طُغرلبك، وقُتل أبوه مع تُتُش.

وعبر عسكر السلطان دجلة، ولم يعبر هو، فصاروا مع صدقة على أرض واحدة، بينهما نهر، والتقوا تاسع عشر رجب، وكانت الريح في وجوه أصحاب السلطان، فلمّا التقوا صارت في ظهورهم، وفي وجوه أصحاب صدقة، ثم إنّ الأتراك رموا بالنشاب، فكان يخرج في كلّ رشقة عشرة آلاف نشّابة، فلم يقع سهم إلاّ في فرس أو فارس، وكان أصحاب صدقة كلّما حملوا منعهم النهر من الوصول إلى الأتراك والنشّاب، ومن عبر منهم لم يرجع، وتقاعدت عُبادة وخَفاجة، وجعل صدقة ينادي: يا آل خزيمة، يا آل

---

(١) في (ب): «عذري».
(٢) من (ب).

ناشرة، يا آل عوف؛ ووعد الأكراد بكلّ جميل لما ظهر من شجاعتهم، وكان راكباً على فرسه المهلوب[١]، ولم يكن لأحدٍ مثله، فجُرح الفَرَس ثلاث[٢] جِراحات، وأخذه الأمير أحمديل[٣] بعد قتل صدقة، فسيّره إلى بغداذ في سفينة، فمات في الطريق.

وكان لصدقة فَرَس آخر قد ركبه حاجبه أبو نصر بن تُفّاحة، فلمّا رأى الناس وقد غشوا صدقة هرب عليه، فناداه صدقة، فلم يُجِبه، وحمل صدقة على الأتراك، وضربه غلام منهم على وجهه فشوّهه، وجعل يقول: أنا ملك العرب، أنا صدقة! فأصابه سهم في ظهره، وأدركه غلام اسمه بزغش، كان أشلّ، فتعلّق به، وهو لا يعرفه، وجذبه عن فرسه، فسقط إلى الأرض هو والغلام، فعرفه صدقة، فقال: يا بزغش ارفِقْ. فضربه بالسيف فقتله، وأخذ رأسه وحمله إلى البُرْسُقيّ، فحمله إلى السلطان، فلمّا رآه عانقه[٤]، وأمر لبزغش بصلةٍ.

وبقي صدقة طريحاً إلى أن سار السلطان، فدفنه إنسان من المدائن. وكان عمره تسعاً[٥] وخمسين سنة، وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة، وحُمل رأسه إلى بغداذ، وقُتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس، فيهم جماعة من أهل بيته، وقُتل من بني شيبان خمسة[٦] وتسعون رجلاً، وأسر ابنه دُبَيْس بن صدقة، وسُرخاب بن كَيخسرو الديلميُّ الذي كانت هذه الحرب بسببه، فأُحضر بين يدي السلطان، فطلب الأمان، فقال: قد عاهدتُ الله أنّني لا أقتل أسيراً، فإنْ ثبت عليك أنّك باطنيّ قتلتُك؛ وأسر سعيد بن حُمَيد العمريُّ، صاحب جيش صدقة. وهرب بدران بن صدقة إلى[٧] الحِلّة، فأخذ من المال وغيره ما أمكنه، وسيّر أمّه ونساءه إلى البطيحة إلى مهذّب الدولة أبي العبّاس أحمد بن أبي الجبر، وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته، ونُهب من الأموال ما لا حدّ عليه.

وكان له من الكتب المنسوبة الخطّ شيء كثير، ألوف مجلّدات، وكان يحسن يقرأ، ولا يكتب، وكان جواداً، حليماً، صدوقاً، كثير البِرّ والإحسان، ما برح ملجأ

---

(١) في (ب): «المهلوف».
(٢) من (ب).
(٣) في (ب): «أحمد بك».
(٤) من الباريسية.
(٥) في الأوربية: «تسع».
(٦) في الأوربية: «خمس».
(٧) في (ب): «من».

لكلّ ملهوفٍ، يلقى من يقصده بالبرّ والتفضّل، ويبسط قاصديه، ويزورهم، وكان عادلاً، والرعايا معه في أمن ودعة، وكان عفيفاً لم يتزوج على امرأته، ولا تسرّى عليها، فما ظنك بغير هذا؟ ولم يصادر أحداً من نوّابه، ولا أخذهم بإساءةٍ قديمة، وكان أصحابه يودعون أموالهم[1] في خزانته، ويُدلّون عليه إدلال الولد على الوالد، ولم يُسمع برعيّة أحبّتْ أميرها (كحبّ رعيّته له)[2].

وكان متواضعاً، محتملاً، يحفظ الأشعار، ويبادر إلى النادرة، رحمه الله، لقد كان من محاسن الدنيا.

وعاد السلطان إلى بغداذ، ولم يصل إلى الحِلّة، وأرسل إلى البطيحة أماناً لزوجة صدقة، وأمرها بالظهور، فأصعدت إلى بغداذ، فأطلق السلطان ابنها دُبَيْساً، وأنفذ معه جماعة من الأمراء إلى لقائها، فلمّا لقيها ابنها بكيا بكاء شديداً، ولمّا وصلت إلى بغداذ أحضرها السلطان، واعتذر من قتْل زوجها، وقال: وددتُ أنّه حُمل إليّ حتّى كنتُ أفعل معه ما يعجَب الناس به من الجميل والإحسان، لكنّ الأقدار غلبتْني. واستحلف ابنها دُبَيْساً أنّه لا يسعى بفساد[3].

ذكر وفاة تميم بن المعزّ صاحب إفريقية وولاية ابنه يحيى

في هذه السنة، في رجب، توفّي تميم بن المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، وكان شهماً، شجاعاً، ذكيّاً، له معرفة حسنة، وكان حليماً، كثير العفو عن الجرائم العظيمة، وله شِعر حسن، فمنه أنّه وقعت حرب بين طائفتَيْن من العرب، وهم عَديّ، ورياح، فقُتل رجل من رياح، ثم اصطلحوا، وأهدروا دمه، وكان صُلحهم ممّا يضرّ به وببلاده، فقال أبياتاً يحرّض على الطلب بدمه، وهي:

مـتـى كـانـتْ دِمَـاؤُكُـمْ تُـطَـلُّ　　　أَمَـا فِـيـكُـمْ بـثـأرٍ مُـسْـتَـقِـلُّ
أغـانـمُ ثـمّ سـالـمُ إن فَـشِـلْـتُـمْ　　　فَـمـا كـانـت أوائـلـكـم تَـذِلُّ

---

(١) في الأوربية: «أمواله».

(٢) في (ب): «مثله».

(٣) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، المنتظم ٩/ ١٥٦، ١٥٧ (١٧/ ١٠٨، ١٠٩)، الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٧، ذيل تاريخ دمشق ١٥٩، تاريخ الفارقي ٢٧٤، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٢٥، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٦٤ ـ ٣٦٧، دول الإسلام ٢/ ٢٩، ٣٠، العبر ٤/ ١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٨، ١٩، مرآة الجنان ٣/ ١٦٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٩، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٨، النجوم الزاهرة ٥/ ١٩٦، شذرات الذهب ٤/ ٢، وانظر ترجمة (صدقة) ومصادرها في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤٦، ٤٧ رقم ١١.

وتِمتُمْ عن طِلابِ الثأرِ حتّى ... كأنّ العِزَّ فيكم مُضمَحِلُّ
وما كسّرتُمُ فيه العَوالي ... ولا بِيضٌ تُفَلُّ ولا تُسَلُّ

فعمد إخوة المقتول فقتلوا أميراً من عديّ، واشتدّ بينهم القتال، وكثُرت القتلى، حتّى أخرجوا بني عديّ من إفريقية.

قيل: إنّه اشترى جارية بثمن كثيرٍ، فبلغه أنْ مولاها الذي باعها ذهب عقله وأسف على فراقها، فأحضره تميم إلى بين يدَيْه، وأرسل الجارية إلى داره، ومعها من الكسوات، والأواني الفضّة، وغيرها، ومن الطيِّب، وغيره، شيء كثير، ثم أمر مولاها بالانصراف، وهو لا يعلم بذلك، فلمّا وصل إلى داره ورآها على تلك الحال وقع مَغشِيّاً عليه لكثرة سروره، ثم أفاق. فلمّا كان الغد أخذ الثمن، وجميع ما كان معها، وحمله إلى دار تميم، فانتهره، وأمره بإعادة جميع ذلك إلى داره.

وكان له في البلاد أصحاب أخبار يُجري عليهم أرزاقاً سنيّة ليطالعوه بأحوال أصحابه لئلاّ يظلموا الناس، فكان بالقَيروان تاجر له مال وثروة، فذكر في بعض الأيّام التجّار تميماً، ودعوا له، وذلك التاجر حاضر، فترحّم على أبيه المعزّ، ولم يذكره، فرُفع ذلك إلى تميم، فأحضره إلى قصره وسأله: هل ظلمتُك؟ فقال: لا! قال: فهل ظلمك بعض أصحابي؟ قال: لا، قال: فَلِمَ أطلقت لسانك أمس بذمّي؟ فسكت، فقال: لولا أن يقال شَرِهَ في ماله لقتلتُك؛ ثم أمر به فصُفع في حضرته قليلاً[1]، ثم أطلقه فخرج، وأصحابه ينتظرونه، فسألوه عن خبره، فقال: أسرار الملوك لا تذاع؛ فصارت بإفريقية مثلاً.

ولمّا توفّي كان عمره تسعاً[2] وسبعين سنة، وكانت ولايته ستّاً[3] وأربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً، وخلّف من الذكور ما يزيد على مائة، ومن البنات ستّين بنتاً، ولمّا توفّي ملك بعده ابنه يحيى بن تميم، وكانت ولادته بالمهديّة لأربع بقين من ذي الحجّة سنة سبْعٍ وخمسين وأربعمائة، وكان عمره حين وليَ ثلاثاً[4] وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوماً، ولمّا وليَ فرّق أموالاً جزيلة، وأحسن السيرة في الرعيّة[5].

---

(١) من (ب).

(٢) في الأوربية: «تسع».

(٣) في الأوربية: «ست».

(٤) في الأوربية: «ثلاث».

(٥) انظر عن (تميم بن المعزّ) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤٣ ـ ٤٥ رقم ٧، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ذكر ملك يحيى قلعة قُلَيبية

لمّا ملك يحيى بن تميم بعد أبيه، جرّد عسكراً كثيفاً إلى قلعة قُلَيبية، وهي من أحصن قلاع إفريقية، فنزل عليها، وحصرها حصاراً شديداً، ولم يبرح حتّى فتحها وحصّنها، وكان أبوه تميم قد رام فتحها، فلم يقدر على ذلك، ولم يزل مظفّراً، منصوراً، لم يُهْزم له جيش.

ذكر قدوم ابن عمّار بغداذ مستنفراً

في هذه السنة، في شهر رمضان، وردّ القاضي فخر المُلك أبو عليّ بن عمّار، صاحب (طرابلس الشام، إلى بغداذ، قاصداً باب السلطان محمّد، مستنفراً)[١] على الفرنج، طالباً تسيير العساكر لإزاحتهم، والذي حثّه على ذلك أنّه لمّا طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس، على ما ذكرناه، ضاقت عليه الأقوات وقلّت، واشتدّ الأمر عليه وعلى أهل البلد، فمنّ الله عليه، سنة خمسمائة، بميرة في البحر من جزيرة قبرس، وأنطاكية، وجزائر البنادقة، فاشتدّت قلوبهم وقووا على حفظ البلد، بعد أن كانوا استسلموا.

فلمّا بلغ فخر المُلك انتظام الأمور للسلطان محمّد وزوال كلّ مخالفٍ رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار[٢] به، فاستناب بطرابلس ابن عمّه ذا المناقب[٣]، وأمره بالمقام بها، ورتّب معه الأجناد برّاً وبحراً، وأعطاهم جامكيّة ستّة أشهر سلفاً، وجعل كلّ موضع إلى من يقوم بحفظه، بحيث أنّ ابن عمّه لا يحتاج إلى فعل شيء من ذلك، وسار إلى دمشق، فأظهر ابن عمّه الخلاف له، والعصيان عليه، (ونادى بشعار المصريّين؛ فلمّا عرف فخر المُلك ذلك كتب إلى أصحابه يأمرهم بالقبض عليه)[٤]، وحَمْله إلى حِصن الخوابي، ففعلوا ما أمرهم.

وكان ابن عمّار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الأعلاق النفيسة، والأشياء الغريبة، والخيل الرائقة، فلمّا وصلها لقيه عسكرها، وطُغتِكين أتابَك، وخيّم على ظاهر البلد، وسأله طُغتِكين الدخول إليه، فدخل يوماً واحداً إلى الطعام، وأدخله حمّامَه، وسار عنها ومعه ولد طُغتِكين يشيّعه.

---

(١) من (ب).

(٢) في (ب): «والاستنصار».

(٣) وقيل: «أبو المناقب»، وقيل «عمّه». انظر حول ذلك في كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٤) من (ب).

فلمّا وصل إلى بغداذ أمر السلطان الأمراء كافّة[١] بتلقيه وإكرامه، وأرسل إليه شبّارته[٢] وفيها دَسْته الذي يجلس عليه ليركب فيها، فلمّا نزل إليها قعد بين يدي موضع السلطان، فقال له من بها من خواصّ السلطان: قد أُمرنا أن يكون جلوسك في دَسْت السلطان؛ فلمّا دخل على السلطان أجلسه، وأكرمه، وأقبل عليه بحديثه[٣].

وسيّر الخليفة خواصّه، وجماعة أرباب المناصب، فلقوه، وأنزله الخليفة وأجرى عليه الجراية العظيمة، وكذلك أيضاً فعل السلطان، وفعل معه ما لم يفعل مع الملوك الذين معهم أمثاله، وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا، ولأجْرُ الآخرة أكبر.

ولمّا اجتمع بالسلطان قدّم هديته، وسأله السلطان عن حاله، وما يعانيه في مجاهدة الكفّار، ويقاسيه من ركوب الخطوب في قتالهم، فذكر له حاله، وقوّة عدوّه، وطول حصره، (وطلب النجدة)[٤]، وضمن أنه إذا سُيّرت العساكر معه أوصل إليهم جميع ما يلتمسونه، فوعده السلطان بذلك، وحضر دار الخلافة، وذكر أيضاً نحواً ممّا ذكره عند السلطان، وحمل هدية جميلة نفيسة، وأقام إلى أن رحل السلطان عن بغداذ في شوّال، فأحضره عنده بالنهروان، وقد تقدّم إلى الأمير حسين بن أتابك قتلغ تكين ليسيّر معه العساكر التي سيّرها إلى الموصل مع الأمير مودود لقتال جاولي سقاوو، ليمضوا معه إلى الشام، وخلع عليه السلطان خِلعاً نفيسة، وأعطاه شيئاً كثيراً، وودّعه، وسار ومعه الأمير حسين فلم يُجْدِ ذلك نفعاً[٥]، وكان ما نذكره بعدُ إن شاء الله تعالىٰ.

ثم إنّ فخر المُلك بن عمّار عاد إلى دمشق منتصف المحرّم سنة اثنتين وخمسمائة، فأقام بها أياماً، وتوجّه منها مع عسكرٍ من دمشق إلى جَبلَة، فدخلها وأطاعه أهلها[٦].

---

(١) في الأوربية: «كافّة الأمراء».

(٢) الشبّارة: المركبة التي تُحمل على الأكتاف ويجلس فيها السلطان وخواصّه.

(٣) في (ب): «بخدمته».

(٤) من (ب).

(٥) تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٤٣، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٥، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٣، دول الإسلام ٢/ ٣٠، تاريخ الإسلام ٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٦٩، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٣٨، ٣٩، كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٩، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ٢٢١ ـ ٢٢٥.

(٦) في الأوربية: «أهله». والخبر في: الإعتبار لابن منقذ ٩٦، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٧، ومرآة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٣/ ورقة ٢٦٠ ب، والأعلاق الخطيرة ٢/ ١١١، وتاريخ ابن الفرات ٨/ ٧٨، وتاريخ طرابلس ١/ ٤٢٩، ولبنان من السيادة الفاطمية ٢٢٥.

وأمّا أهل طرابلس، فإنّهم راسلوا الأفضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه والياً يكون عندهم، ومعه الميرة في البحر، فسيّر إليهم شرفَ الدولة بن أبي الطيّب[1] والياً، ومعه الغلّة ممّا تحتاج إليه البلاد في الحصار، فلمّا صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمّار وأصحابه، وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك، وحمل الجميع إلى مصر في البحر[2].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في شعبان، أطلق السلطان محمّد الضرائب والمكوس[3]، ودار البيع، والاجتيازات، وغير ذلك ممّا يناسبه بالعراق، وكتُبت به الألواح، وجُعلت في الأسواق[4].

وفيها، في شهر رمضان، وليَ القاضي أبو العباس بن الرّطبي الحسبة ببغداذ[5].

وفيه أيضاً عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطّلب برسالة من السلطان بذلك، ثم أُعيد إلى الوزارة بإذن السلطان[6]، وشرطه عليه شروطاً منها: العدل، وحسن السيرة، وأن لا يستعمل أحداً من أهل الذمّة[7].

وفيها عاد أصبهبذ صباوة من دمشق، وكان هرب عند قتل إياز، فلمّا قدِم أكرمه السلطان، وأقطعه رَحْبة مالك بن طَوْق.

وفيها، سابع شوّال، خرج السلطان إلى ظاهر بغداذ، عازماً على العود[8] إلى أصبهان، وكان مُقامه هذه المرّة خمسة أشهر وسبعة عشر يوماً.

---

(١) انظر الروايات حول اسمه في كتابنا: تاريخ طرابلس ١/ ٤٣٠، ولبنان من السيادة الفاطمية ٢٢٦.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٦١، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٥، إتعاظ الحنفا ٣/ ٢٨، مرآة الزمان (مخطوط) ج ١٢ ق ٣/ ورقة ٢٦٠ ب، أخبار مصر ٢/ ٤٣، نثر الجمان للفيومي (مخطوط) ٢١/ ورقة ٣١٨ أ، تاريخ ابن الفرات ٨/ ٧٨، الأعلاق الخطيرة ج ٢ ق ٢/ ١١٠، مرآة الزمان (المطبوع) ج ٨ ق ١/ ٤٥ (حوادث ٥٠٧ هـ).

(٣) من الباريسية.

(٤) المنتظم ٩/ ١٥٥، ١٥٦ (١٧/ ١٠٧، ١٠٨، ذيل تاريخ دمشق ١٦٢، نهاية الأرب ٢٦/ ١٦٨)، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠١ هـ.) ص ٨.

(٥) المنتظم ١٧/ ١٠٩.

(٦) في (ب) زيادة: «محمد».

(٧) المنتظم ١٧/ ١٠٩.

(٨) في (ب): «الغزو».

وفيها، في ذي الحجّة، احترقت خرابة ابن جردة، فهلك فيها كثير من الناس، وأمّا الأمتعة، والأموال، وأثاث البيوت، فهلك ما لا حدّ عليه، وخلص خلق بنقب نقبوه في سور المحلّة إلى مقبرة (باب أبرز)[1]، وكان بها جماعة من اليهود، فلم ينقلوا شيئاً لتمسّكهم بسبتهم؛ وكان بعض أهله قد عبّروا إلى الجانب الغربيّ للفرجة، على عادتهم في السبت الذي يلي العيد، فعادوا فوجدوا بيوتهم قد خربت، وأهلهم قد احترقوا، وأموالهم قد هلكت.

ثم تبِع ذلك حريق في عدّة أماكن منها: درب القيّار، وقراح ابن رَزِين[2]، فارتاع الناس لذلك، وبطّلوا معايشهم، وأقاموا ليلاً ونهاراً يحرسون بيوتهم في الدروب، وعلى السطوح، وجعلوا عندهم الماء المُعَدّ لإطفاء النار، فظهر أنّ سبب هذا الحريق أنّ جارية أحبّتْ رجلاً، فوافقته على المبيت عندها في دار مولاها سِرّاً، وأعدّت له ما يسرقه إذا خرج، ويأخذها هي أيضاً معه، فلمّا أخذها طرحَا النار في الدار، فخرجا، فأظهر الله عليهما، وعجّل الفضيحة لهما، فأُخذا وحُبسا[3].

وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة صور وحصرها، وأمر ببناء حصن عندها، على تلّ المَعشوقة، وقام شهراً محاصراً لها، فصانعه واليها على سبعة آلاف دينار، فأخذها ورحل عن المدينة[4].

وقصد مدينة صيدا، فحصرها برّاً وبحراً ونصب عليها البرج الخشب، ووصل الأسطول المصريُّ في الدفع عنها، والحماية لمن فيها، فقاتلهم أُسطول الفرنج، فظهر المسلمون عليهم، (فاتّصل بالفرنج)[5] مسير عسكر دمشق نجدةً لأهل صيدا، فرحلوا عنها بغير فائدة[6].

---

(١) في (ب): «بإزائه».

(٢) في الأوربية: «زرين».

(٣) المنتظم ١٧/١٠٩.

(٤) انظر عن حصار صور في: تاريخ حلب ٣٦٣ (٢٩)، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/٢٥، وفيه: (تل المعسوفة»، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢/٤٢، ٤٣، ودول الإسلام ٢/٣٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٠١ هـ.) ص ٨، ٩، والإعلام والتبيين ١٧، واتعاظ الحنفا ٣/٣٨، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية ٢٧٧ و ٢٨٦.

(٥) في الباريسية: «مظهر للفرنج».

(٦) انظر عن حصار صيدا في: ذيل تاريخ دمشق ١٦٢، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/٢٥، ودول الإسلام ٢/٣٠، وتاريخ الإسلام ٩، والإعلام والتبيين ١٧، واتعاظ الحنفا ٣/٤٣، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية ٢٧٧، ٢٧٨.

وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب، فبقي لياليَ[1] كثيرة ثم غاب.

[الوفيات]

توفّي في هذه السنة، في شعبان، إبراهيم بن ميّاس[2] بن مهدي أبو إسحاق القشيريُّ الدمشقيُّ، سمع الحديث الكثير من الخطيب البغداذيّ وغيره.

وتوفّي في ذي القعدة أبو سعيد[3] إسماعيل بن عمرو بن محمّد النَّيسابوريُّ المحدّث، كان يقرأ الحديث للغرباء، قرأ «صحيح مسلم» على عبد الغافر الفارسيّ عشرين مرّة.

---

(١) في الأوربية: «ليال».

(٢) انظر عن (ابن ميّاس) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤١ رقم ٤، وفيه مصادر ترجمته.

(٣) في الباريسية: «أبو سعد». والمثبت هو الصحيح كما في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠١ هـ.) ص ٤٢ رقم ٥، وفيه مصادر ترجمته.

٥٠٢
ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة

ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود[١]

في هذه السنة، في صفر، استولى مودود والعسكر الذي أرسله السلطان معه، على مدينة الموصِل، وأخذوها من أصحاب جاولي سقاوو، وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولي عليها، وما جرى بينه وبين جَكَرمِش، والملك قِلج أرسلان، وهلاكهما على يده، وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير، والعدّة التامّة، والأموال الكثيرة، وكان السلطان محمّد قد جعل إليه ولاية كلّ بلد يفتحه، فاستولى على كثير من البلاد والأموال.

وكان سبب أخذ البلاد منه: أنّه لمّا استولى عليها، وعلى الأموال الكثيرة منها، لم يحمل إلى السلطان منها شيئاً، فلمّا وصل السلطان (إلى بغداذ)[٢]، لقصْد بلاد سيف الدولة صدقة، أرسل إلى جاولي يستدعيه إليه بالعساكر، وكرّر الرسل إليه، فلم يحضر، وغالط في الانحدار إليه، وأظهر أنّه (يخاف أن يجتمع به، ولم يقنَعْ بذلك، حتّى كاتب صدقةَ، وأظهر له أنّه)[٣] معه، ومُساعده على حرب السلطان، وأطمعه في الخلاف والعصيان.

فلمّا فرغ السلطان من أمر صدقة، وقتله، كما ذكرناه، تقدّم إلى الأمراء بني بُرسُق، وسكمان القُطْبيّ، ومودود بن ألْتُونتِكين، وآقسنقَر البُرسُقيّ، ونصر بن مُهلهل بن

---

(١) من الباريسية.

(٢) من (ب).

(٣) من (ب).

أبي الشوك الكرديّ، وأبي الهيجاء، صاحب إربل، بالمسير إلى الموصِل، وبلاد جاولي، وأخذها منه، فتوجّهوا نحو الموصِل، فوجدوا جاولي عاصياً قد شيّد سور الموصل، وأحكم ما بناه جَكَرمِش، وأعدّ الميرة والأقوات والآلات، واستظهر على الأعيان بالموصل، فحبسهم، وأخرج من أحداثها ما يزيد على عشرين ألفاً، ونادى: متى اجتمع عامّيّان على الحديث في هذا الأمر قتلتُهما؛ وخرج عن البلد، ونهب السواد.

وترك بالبلد زوجته ابنة بُرسُق، وأسكنها القلعة، ومعها ألف وخمسمائة فارس من الأتراك، سوى غيرهم، وسوى الرجّالة، ونزل العسكر عليها في شهر رمضان سنة إحدى وخمسمائة، وصادرت زوجته مَن بقي بالبلد، وعسفت نساء الخارجين عنه، وبالغت في الاحتراز عليهم، فأوحشهم ذلك، ودعاهم إلى الانحراف عنها، وقوتل أهل البلد قتالاً متتابعاً[(١)]، فتمادى الحصار بأهلها من خارج، والظلم من داخل إلى آخر المحرّم، والجُند بها يمنعون عامّيّاً من القرب من السور.

فلمّا طال الأمر على الناس، اتّفق نفر من الجصّاصين، ومقدّمهم جصّاص يُعرف بالسعدي، على تسليم البلد، وتحالفوا على التساعد[(٢)]، وأتوا وقت صلاة الجمعة، والناس بالجامع، وصعدوا برجاً، وأغلقوا أبوابه، وقتلوا من به من الجُند، وكانوا نياماً، فلم يشعروا بشيء، حتّى قُتلوا، وأخذوا سلاحهم، وألقوهم إلى الأرض، وملكوا برجاً آخر.

ووقعت الصيحة، وقصدهم مائتا فارس من العسكر، ورموهم بالنشّاب، وهم يقاتلون، وينادون بشعار السلطان، فزحف عسكر السلطان إليهم، ودخلوا البلد من ناحيتهم، وملكوه، ودخله الأمير مودود، ونودي بالسكون والأمن، وأن يعود الناس إلى دورهم وأملاكهم، وأقامت زوجة جاولي بالقلعة ثمانية أيّام، وراسلت الأمير مودود في أن يفرج لها عن طريقها، وأن يحلف لها على الصيانة والحراسة، فحلف، وخرجت إلى أخيها (برسق بن)[(٣)] برسق، ومعها أموالها وما استولت عليه، (ووليَ مودود الموصل وما ينضاف إليها)[(٤)].

---

(١) في (ب): «شديداً».

(٢) في (ب): «المساعدة».

(٣) من الباريسية.

(٤) من الباريسية، والخبر في: التاريخ الباهر ١٦، ١٧، وتاريخ الفارقي ٢٧٥، وتاريخ الزمان لابن العبري ١٢٠، وتاريخ مختصر الدول، له ١٩٩، والروضتين ١/ ٦٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٣، =

ذكر حال جاولي مدّة الحصار

وأمّا جاولي فإنّه لمّا وصل[1] عسكر السلطان إلى الموصل، وحصرها، سار عنها، وأخذ معه القُمّص، صاحب الرُّها، الذي كان قد أسره سُقمان وأخذه منه جَكَرمِش، وقد ذكرنا ذلك، وسار إلى نَصِيبين، وهي حينئذ للأمير إيلغازي بن أُرتُق، وراسله، وسأله الاجتماع به، واستدعاه إلى مُعاضدته، وأن يكونا يداً واحدة، وأعلمه أنّ خوفهما من السلطان ينبغي أن يجمعهما على الاحتماء منه. فلم يجبه إيلغازي إلى ذلك، ورحل عن نَصِيبين، ورتّب بها ولده، وأمره بحفظها من جاولي، وأن يقاتله إن قصده، وسار إلى ماردين.

فلمّا سمع جاولي ذلك عدل عن نَصِيبين، وقصد دارا، وأرسل إلى إيلغازي ثانياً في المعاني، وسار بعد الرسول، فبينما رسوله عند إيلغازي بماردين، لم يشعر إلاّ وجاولي معه في القلعة وحده، وقصد أن يتألّفه ويستميله، فلمّا رآه إيلغازي قام إليه وخدمه؛ ولمّا رأى جاولي مُحسناً للظن فيه، غير مستشعرٍ منه، لم يجد إلى دفعه سبيلاً، فنزل معه، وعسكرا بظاهر نَصِيبين، وسارا منها إلى سِنجار، وحاصراها مدّةً، فلم يجبهما صاحبها إلى صُلح، فتركاه وسارا نحو الرَّحبة، وإيلغازي يُظهر لجاولي المساعدة، ويبطن الخلاف، وينتظر فرصة لينصرف عنه، فلمّا وصلا إلى عرابان، من الخابور، هرب إيلغازي ليلاً وقصد نَصِيبين.

ذكر إطلاق جاولي للقُمّص الفرنجيّ

لمّا هرب إيلغازي من جاولي سار جاولي إلى الرَّحبة، فلمّا وصل إلى مَاكِسِينَ أطلق القُمّص الفرنجيّ، الذي كان أسيراً بالموصل، وأخذه معه، واسمه بردويل، وكان صاحب الرُّها وسَروج وغيرهما، وبقي في الحبس إلى الآن، وبذل الأموال الكثيرة، فلم يُطْلَقْ، فلمّا كان الآن أطلقه جاولي، وخلع عليه، وكان مُقامه في السجن ما يقارب خمس سنين، وقرّر عليه أن يفدي نفسه بمالٍ، وأن يطلق أسرى المسلمين الذين في سجنه، وأن ينصره متى أراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله.

فلمّا اتّفقا على ذلك سيّر القُمّص إلى قلعة جَعْبَرَ، وسلّمه إلى صاحبها سالم بن

= ونهاية الأرب ٢٦/٣٦٩، والعبر ٤/٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٢ هـ.) ص ١٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/١٩، والدرّة المضية ٤٧٢، وتاريخ ابن خلدون ٥/٣٩.

(١) في الباريسية: «قصد».

مالك، حتّى ورد عليه ابن خالته جُوسلين، وهو من فرسان الفرنج وشجعانها، وهو صاحب تَلّ باشِر وغيره، وكان أُسر مع القمّص في تلك الوقعة، ففدى نفسه بعشرين ألف دينار، فلمّا وصل جوسلين إلى قلعة جَعْبَر أقام رهينةً عوض القمّص، وأُطلق القمّص، وسار إلى أنطاكية، وأخذ جاولي جوسلين من قلعة جَعْبَر فأطلقه، وأخذ عوضه أخا زوجته، وأخا زوجة القمّص، وسيّره إلى القمّص ليقوى به، وليحثّه على إطلاق الأسرى، وإنفاذ المال وما ضمنه، فلمّا وصل جوسلين إلى مَنبِج أغار عليها ونهبها، وكان معه جماعة من أصحاب جاولي، فأنكروا عليه ذلك، ونسبوه إلى الغدر، فقال: إنّ هذه المدينة ليست لكم[1].

ذكر ما جرى بين هذا القُمّص وبين صاحب أنطاكية

لمّا أُطلق القمّص وسار إلى أنطاكية أعطاه طَنْكري[2] صاحبها ثلاثين ألف دينار، وخيلاً، وسلاحاً، وثياباً، وغير لك؛ وكان طَنكري قد أخذ الرُّها من أصحاب القمّص حين أُسر، فخاطبه الآن في ردّها عليه، فلم يفعل، فخرج من عنده إلى تلّ باشر، فلمّا قدم عليه جوسلين، وقد أطلقه جاولي، سرّه ذلك، وفرح به.

وسار إليهما طَنْكري، صاحب أنطاكية، بعساكره ليحاربهما، قبل أن يقوى أمرهما، ويجمعا عسكراً، ويلتحق بهما جاولي وينجدهما، فكانوا يقتتلون، فإذا فرغوا من القتال اجتمعوا وأكل بعضهم مع بعض وتحادثوا.

وأطلق القمّص من الأسرى المسلمين مائة وستّين أسيراً كلّهم من سواد حلب، وكساهم وسيّرهم.

وعاد طَنْكري إلى أنطاكية من غير فصل حال في معنى الرُّها، فسار القمّص وجوسلين وأغارا على حصون طَنْكري، صاحب أنطاكية، والتجأا إلى ولاية كواسيل، وهو رجل أرمنيّ، ومعه خلق كثير من المرتدّين وغيرهم، وهو صاحب رَعْبَان[3]، وكَيسُوم، وغيرهما[4] من القلاع، شماليّ حلب، فأنجد القمّصَ بألف فارس من المرتدّين، وألفَيْ راجل، فقصدهم طَنكري، فتنازعوا في أمر الرُّها، فتوسّط بينهم

---

(١) انظر: لباب الآداب ١٣٣، ١٣٤.

(٢) في (ب): «تنكري».

(٣) من الباريسية.

(٤) في الباريسية: «وغيرها».

البَطْرك[1] الذي لهم، وهو عندهم كالإمام الذي للمسلمين، لا يخالف أمره، وشهد جماعة من المطارنة[2] والقِسّيسين: أنّ بيمُند خال طَنكري قال له، لمّا أراد ركوب البحر، والعود إلى بلاده، ليعيد الرُّها إلى القمّص، إذا خلص من الأسر، فأعادها عليه طَنكري تاسع صفر، وعبر القمّص الفرات، ليسلّم إلى أصحاب جاولي المال، والأسرى، فأطلق في طريقه خلقاً كثيراً من الأسرى من حَرّان وغيرها[3].

وكان بسَروج ثلاثمائة مسلم ضَعْفَى، فعمّر أصحاب جاولي مساجدهم، وكان رئيس سَروج مُسلماً قد ارتدّ، فسمعه أصحاب جاولي يقول في الإسلام قولاً شنيعاً، فضربوه، وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع، فذكر ذلك للقُمّص، فقال: هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين؛ فقتله.

ذكر حال جاولي بعد إطلاق القُمّص

لما أَطلق جاولي القُمّصَ بماكِسين سار إلى الرَّحْبة، فأتاه أبو النجم بدران، وأبو كامل منصور، ابنا سيف الدولة صدقة، وكانا[4]، بعد قتل أبيهما بقلعة جَعْبَر، عند سالم بن مالك، فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة، ووعدهما أنّه يسير معهما إلى الحِلّة، وعزموا أن يقدّموا عليهم بكتاش[5] بن تكش بن ألب أرسلان. فوصل إليهم، وهم على هذا العزم، أصبَهْبذ صباوة، وكان قد قصد السلطان فأقطعه الرَّحبة وقد ذكرناه، فاجتمع بجاولي، وأشار عليه أن يقصد الشام، فإنّ بلاده خالية من الأجناد، والفرنج قد استولوا على كثير منها، وعرّفه أنّه متى قصد العراق، والسلطان بها، أو قريباً منها، لم يأمن شرّاً يصل إليه. فقبل قوله، وأصعد عن الرَّحبة، فوصل إليه رسل سالم بن مالك، صاحب قلعة جَعْبَر، يستغيث به من بني نُمير، وكانت الرَّقّة بيد ولده عليّ بن سالم، فوثب جوشن النُّميريُّ، ومعه جماعة من بني نُمير، فقتل عليّاً وملك الرَّقّة.

فبلغ ذلك الملك رضوان، فسار من حلب إلى صِفّين، فصادف تسعين رجلاً من الفرنج معهم مال من فدية القُمّص، صاحب الرُّها، قد سيّره إلى جاولي، فأخذه،

---

(١) في (ب): «البترك».
(٢) في (ب): «البطارقة».
(٣) انظر: لباب الآداب ١٣٤.
(٤) في الأوربية: «وكان».
(٥) في الباريسية: «بلتاش».

وأسر[1] عدداً منهم، وأتى الرَّقّة، فصالحه بنو نُمير على مال، فرحل عنهم[2] إلى حلب، فاستنجد سالم بن مالك جاولي، وسأله أن يرحل إلى الرَّقّة ويأخذها، ووعده بما يحتاج إليه. فقصد الرَّقة، وحصرها سبعين يوماً، فضمن له بنو نُمَير مالاً وخيلاً، فأرسل إلى سالم: إنّني في أمر أهمّ من هذا، وأنا بإزاء عدوّ، ويجب التشاغل[3] به دون غيره، وأنا عازم على الانحدار إلى العراق، فإنْ تمّ أمري فالرَّقّة وغيرها لك، ولا أشتغل عن هذا المهمّ بحصار خمسة نفر من بني نُمير.

ووصل إلى جاولي الأمير حسين بن أتابَك[4] قتلغ تِكِين، وكان أبوه أتابَك السلطان محمّد، فقتله، وتقدّم ولده هذا عند السلطان، واختصّ به، فسيّره السلطان مع فخر المُلك بن عمّار ليصلح الحال مع جاولي، (ويأمر العساكر بالمسير مع ابن عمّار إلى جهاد الكفّار، فحضر عند جاولي، وأمر)[5] بتسليم البلاد، وطيّب قلبه عن السلطان، وضمن الجميل، إذا سلّم البلاد، وأظهر الطاعة والعبوديّة، فقال جاولي: أنا مملوك السلطان، وفي طاعته؛ وحمل إليه مالاً وثياباً لها مقدار جليل، وقال له: سِرْ إلى الموصل ورحّل العسكر عنها، فإني أُرسل معك من يسلّم ولدي إليك رهينة، وينفذ السلطان إليها من يتولّى أمرها وجباية أموالها؛ ففعل حسين ذلك، وسار ومعه صاحب جاولي، فلمّا وصلا إلى العسكر الذي على الموصل، وكانوا لم يفتحوها بعد، أمرهم حسين بالرحيل، فكلّهم أجاب، إلاّ الأمير مودود فإنّه قال: لا أرحل إلاّ بأمر السلطان؛ وقبض على صاحب جاولي، وأقام (على الموصل)[6]، حتّى فتحها كما ذكرناه.

وعاد حسين بن قتلغ تِكين إلى السلطان، فأحسن النيابة عن جاولي عنده، وسار جاولي إلى مدينة بالِس، فوصلها ثالث عشر صفر، فاحتمى أهلُها منه، وهرب مَنْ بها من أصحاب الملك رضوان، صاحب حلب، فحصرها خمسة أيّام، وملكها بعد أن نقب برجاً من أبراجها، فوقع على النقّابين[7]، فقتل منهم جماعة، وملك البلد، وصلب جماعة من أعيانه عند النقب، وأحضر القاضي محمّد بن عبد العزيز بن إلياس فقتله، وكان فقيهاً صالحاً، ونهب البلد، وأخذ منه مالاً كثيراً.

---

(١) في (ب): «وأسروا».
(٢) من (ب).
(٣) في الأوربية: «الشاغل».
(٤) من (ب).
(٥) من الباريسية، وفيها: «يأمره».
(٦) في الباريسية: «بالموصل».
(٧) في (ب): «من نقب».

ذكر الحرب بين جاولي والفرنج

وفي هذه السنة، في صفر، كان المصافّ بين جاولي سقاوو وبين طَنكري الفرنجيّ، صاحب أنطاكية.

وسبب ذلك أنّ الملك رضوان كتب إلى طَنكري، صاحب أنطاكية، يعرّفه ما هو جاولي عليه من الغدر، والمكر، والخداع، ويحذره منه، ويُعلمه أنّه على قصد حلب، وأنّه إن ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام، وطلب منه النُّصرة، والاتّفاق على منعه. فأجابه طَنكري إلى منعه وبرز من أنطاكية، فأرسل إليه رضوان ستّمائة فارس، فلمّا سمع جاولي الخبر أرسل إلى القُمّص، صاحب الرُّها، يستدعيه إلى مساعدته، وأطلق له ما بقي عليه من مال المفاداة، فسار إلى جاولي فلحق به، وهو على مَنبج، فوصل الخبر إليه، وهو على هذه الحال، بأنّ الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان، وملكوا خزائنه وأمواله، فاشتدّ ذلك عليه، وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكي بن آقسنقَر، وبكتاش النهاونديُّ، وبقي جاولي في ألف فارس، (وانضمّ إليه خلق من المطوّعة، فنزل بتلّ باشر.

وقاربهم طنكري، وهو في ألف وخمسمائة فارس)[1] من الفرنج، وستّمائة من أصحاب الملك رضوان، سوى الرَّجّالة، فجعل جاولي في ميمنته الأمير أقسيان، والأمير ألْتُونتاش الأبريَّ[2]، وغيرهما، وفي الميسرة الأمير بدران بن صدقة، وأصبهبذ صباوة، وسُنقر دراز، وفي القلب القُمّص بغدوين، وجوسلين الفرنجيّين، ووقعت الحرب، فحمل أصحاب أنطاكية على القمّص، صاحب الرُّها، واشتدّ القتال، فأزاح طَنكري القلب عن موضعه، وحملت ميسرة جاولي على رجّالة صاحب أنطاكية، فقتلت منهم خلقاً كثيراً، ولم يبق غير هزيمة صاحب أنطاكية، فحينئذٍ عمد أصحاب جاولي إلى جنائب القمّص، وجوسلين، وغيرهما من الفرنج، فركبوها وانهزموا، فمضى[3] جاولي[4] وراءهم ليردّهم، فلم يرجعوا، وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أُخذت الموصل منه، فلمّا رأى أنّهم لا يعودون معه أهمّته نفسه، وخاف من المقام، فانهزم، وانهزم باقي عسكره.

---

(١) من (ب).

(٢) مصحّف في الأصل.

(٣) في الأوربية: «فمضا».

(٤) في (ب) زيادة: «إلى».

فأمّا أصبهبذ صباوة فسار نحو الشام، وأمّا بدران بن صدقة فسار إلى قلعة جَعْبَر، وأمّا ابن جَكَرمِش فقصد جزيرة ابن عُمَر، وأمّا جاولي فقصد الرَّحْبة؛ وقُتل من المسلمين خلق كثير، ونهَب صاحب أنطاكية أموالهم وأثقالهم، وعظُم البلاء عليهم من الفرنج، وهرب القمّص وجوسلين إلى تلّ باشر والتجأ إليهما خلق كثير من المسلمين، ففعلا معهم الجميل، وداويا الجرحى، وكسوَا العُراة، وسيّراهم إلى بلادهم[١].

ذكر عود جاولي إلى السلطان

لمّا انهزم جاولي سقاوو قصد الرَّحبة، لمّا قاربها بات دونها في عدّة فوارس، فاتّفق أنّ طائفة من عسكر الأمير مودود، الذين[٢] أخذوا الموصل مِنه، أغاروا على قوم من العرب يجاورون الرَّحبة، فقاربوا جاولي ولا يشعرون به، ولو علموا لأخذوه.

فلمّا رأى الحال كذلك، علم أنّه لا يقدر [أن] يقيم بالجزيرة، ولا بالشام، ولا يقدر على شيء يحفظ به نفسه ويرجع إليه، ويداوي به مرضه، غير قصد باب السلطان محمّد عن رغبة واختيار، وكان واثقاً بالأمير حسين بن قُتْلُغْتِكين، فرحل من مكانه وهو خائفٌ حَذِرٌ، قد أخفى شخصه وكتم أمره، وسار إلى عسكر السلطان، وكان بالقرب من أصبهان، فوصل إليه في سبعة عشر يوماً من مكانه لجدّه في السيْر، فلمّا وصل المعسكرَ قصد الأمير حسيناً[٣]، فحمله إلى السلطان، فدخل إليه وكفنُهُ تحت يده، فأمّنه، وأتاه الأمراء يهنّونه بذلك، وطلب منه السلطان الملك[٤] بكتاش[٥] بن تكش، فسلّمه إليه، فاعتقله بأصبهان[٦].

ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهُدنة بعدها

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين طُغتِكين أتابك والفرنج، وسببها أنّ طُغتكِين سار إلى طَبَريّة، وقد وصل إليها ابن أخت بغدوين الفرنجيّ، ملك القدس، فتحاربا واقتتلا، وكان طُغتِكين في ألفَيْ فارس، وكثير من الرَّجّالة، وكان ابن أخت ملك الفرنج في أربعمائة فارس، وألفَيْ راجل.

---

(١) تاريخ الزمان ١٣١، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٢ هـ.) ص ١٢.

(٢) في الأوربية: «الذي».

(٣) في الأوربية: «حسين».

(٤) من (ب).

(٥) في الأصل: «المتاش».

(٦) تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٢ هـ.) ص ١٢، ١٣.

فلمّا اشتدّ القتال انهزم المسلمون، فترجّل طُغتِكين، ونادى بالمسلمين، وشجّعهم، (فعاودوا الحرب)[١]، وكسروا الفرنج، وأسروا ابن أخت الملك، وحُمل إلى طُغتِكين، فعرض طُغتكِين عليه الإسلام، فامتنع منه، وبذل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار، وإطلاق خمسمائة أسير، فلم يقنع طُغتِكين منه بغير الإسلام، فلمّا لم يُجِبْ قتله بيده، وأرسل إلى الخليفة والسلطان الأسرى، ثم اصطلح طُغتِكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين، وكان ذلك من لُطف الله تعالىٰ بالمسلمين، ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين، بعد الهزيمة الآتي ذكرها، أمراً عظيماً[٢].

ذكر انهزام طغتكين من الفرنج

في هذه السنة، في شعبان، انهزم أتابك طُغتِكين من الفرنج.

وسبب ذلك أنّ حصن عِرْقَة، وهو من أعمال طرابلس، كان بيد غلام للقاضي فخر المُلك أبي عليّ بن عمّار، صاحب طرابلس، وهو من الحصون المَنيعة، فعصى[٣] على مولاه، فضاق به القُوت، وانقطعت عنه الميرة، لطول مُكث الفرنج في نواحيه، فأرسل إلى أتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، وقال له: أرسلْ من يتسلّم هذا الحصن منّي، قد عجزتُ عن حفظه، ولأن يأخذَهُ المسلمون خير لي دنيا وآخرة من أنْ يأخذَهُ الفرنجُ. فبعث إليه طُغتِكين صاحباً له، اسمه إسرائيل، في ثلاثمائة رجل، فتسلم الحصن، فلما نزل غلام ابن عمار منه رماه إسرائيل في الأخلاط، بسهم فقتله، وكان قصده بذلك أن لا يطلع أتابك طُغتِكين على ما خلّفه بالقلعة من المال.

وأراد طُغتكِين قصْد الحصن للاطّلاع عليه، وتقويته بالعساكر، والأقوات، وآلات الحرب، فنزل الغيث والثلج مدّة شهرَيْن، ليلاً ونهاراً، فمنعه، فلمّا زال ذلك سار في أربعة آلاف فارس، ففتح حصوناً للفرنج، (منها حصن الأكمة)[٤]. فلمّا سمع السردانيّ الفرنجيُّ، (بمجيء طُغتكِين)[٥]، وهو على حصار طرابلس، توجّه في ثلاثمائة فارس،

---

(١) في (ب): «فعادوا للحرب».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٦١، ١٦٢، دول الإسلام ٢٢/٣٢، العبر ٤/٣، تاريخ الإسلام ١٣، الإعلام والتبيين ١٨.

(٣) في الأوربية: «فعصا».

(٤) من الباريسية، والأكمة أو اللكمة: قرب رفنية في الطريق بينها وبين أنطرطوس. وهو عند الفرنج Lo Camel.

(٥) في الباريسية: «بطغدكين».

فلمّا أشرف أوائل أصحابه على عسكر طُغتِكين انهزموا، وخلّوا ثَقلَهم ورحالهم ودوابّهم للفرنج، فغنموا، وقووا به، وزاد في تجمّلهم[١].

ووصل المسلمين إلى حمص، على أقبح حال من التقطّع، ولم يُقْتَلْ منهم أحد لأنّه لم تجْرِ حرب، وقصد السردانيُّ إلى عِرْقة، فلمّا نازلها طلب مَنْ كان بها الأمان، فأمّنهم على نفوسهم، وتسلّم الحصن، فلمّا خرّج مَن فيه قبض على إسرائيل، وقال: لا أطلقه[٢] إلاّ بإطلاق فلان، وهو أسير كان بدمشق من الفرنج، منذ سبع سنين، ففودي به وأُطلقا معاً.

ولّما وصل طُغتكِين إلى دمشق، بعد الهزيمة، أرسل إليه ملك القدس يقول له: لا تظنّ أنّني أنقض الهدنة للذي تمّ عليك من الهزيمة، فالملوك ينالهم أكثر ممّا نَالك، ثم تعود أُمورهم إلى الانتظام والاستقامة؛ وكان طُغتِكين خائفاً أن يقصده بعد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما أراد[٣].

ذكر صُلح السُّنّة والشيعة ببغداذ

في هذه السنة، (في شعبان)[٤]، اصطلح عامّة بغداذ السُّنّة والشيعة، وكان الشرّ منهم على طول الزمان، وقد اجتهد الخلفاء، والسلاطين، والشُّحَن في إصلاح الحال، فتعذّر عليهم ذلك، إلى أن أذِن الله تعالىٰ فيه، وكان بغير واسطة.

وكان السبب في ذلك أنّ السلطان محمّداً لمّا قتل ملك العرب صدقة، كما ذكرناه، خاف الشيعة ببغداذ، أهل الكرْخ وغيرهم، لأنّ صدقة كان يتشيّع هو وأهل بيته، فشنّع أهل السُّنّة عليهم بأنّهم نالهم غمّ وهمّ لقتله، فخاف الشيعة، وأغْضَوْا على سماع هذا، ولم يزالوا خائفين إلى شعبان، فلمّا دخل شعبان تجهّز السُّنّة لزيارة قبر مُصعب بن الزُّبَيْر، وكانوا قد تركوا ذلك سنين كثيرة، ومنعوا منه لتنقطع الفِتن الحادثة بسببه.

فلمّا تجهّزوا للمسير، اتّفقوا على أن يجعلوا طريقهم في الكرْخ، فأظهروا ذلك،

---

(١) في (ب): «تحكمهم».
(٢) في الأوربية: «أطلق عنه».
(٣) نهاية الأرب ٢٨/ ٢٦٤، ذيل تاريخ دمشق ١٦٢، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٧٣، الأعلاق الخطيرة ٢/ ٩٤، تاريخ الإسلام ١٣، لبنان من السيادة الفاطمية ٢٣١، ٢٣٢.
(٤) من (ب).

فاتّفق رأي[1] أهل الكرْخ على ترك معارضتهم، وأنّهم لا يمنعونهم، فصارت السُّنّة تسيّر أهل كلّ محلّة منفردين، ومعهم من الزينة والسلاح شيء كثير، وجاء أهل باب المراتب، ومعهم فيل قد عُمل من خشب، وعليه الرجال بالسلاح، وقصدوا جميعهم الكرْخ ليعبروا فيه، فاستقبلهم أهله بالبَخور والطِّيب، والماء المبرّد، والسلاح الكثير، وأظهروا بهم السرور، وشيّعوهم حتّى خرجوا من المحلّة.

وخرج الشيعة، ليلة النصف منه، إلى مشهد موسى بن جعفر وغيره، فلم يعترضهم أحد من السُّنّة، فعجِب الناس لذلك، ولمّا عادوا من زيارة مُصعب لقِيهم أهل الكرْخ بالفرح والسرور، فاتّفق أنّ أهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب؛ فقرأ لهم قوم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[2]، إلى آخر السورة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عاد منصور بن صدقة بن مَزْيد إلى باب السلطان، فتقبّله وأكرمه، وكان قد هرب، بعد قتل والده، إلى الآن، والتحق أخوه بدران بن صدقة بالأمير مودود الذي أقطعه السلطان الموصل، فأكرمه وأحسن صُحبته.

وفيها، في نيسان، زادت دجلة زيادة عظيمة، وتقطّعت الطرق، وغرقت الغلاّت الشتويّة والصيفيّة، وحدث غلاء عظيم بالعراق، بلغت كارة الدقيق الخُشْكار عشرة دنانير إماميّة، وعُدِم الخبز رأساً، وأكل الناس التمر والباقِلاّء الخضراء[3]، وأمّا أهل السواد فإنّهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان، ونصف شوّال، سوى الحشيش والتوت.

وفيها، في رجب، عُزل وزير الخليفة أبو المعالي هبة الله بن المطّلب، ووزر له أبو القاسم عليُّ بن أبي نصر بن جَهِير[4].

وفيها، في شعبان، تزوّج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه، وهي أخت السلطان محمّد، وكان الذي خطب خطبة النكاح القاضي أبو العلاء صاعد بن محمّد النّيسابوريُّ، الحنفيُّ، وكان المتولّي لقبول العقد نظام المُلك أحمد بن نظام المُلك،

---

(١) من (ب).
(٢) أول سورة الفيل.
(٣) في الأوربية: «الأخضر».
(٤) المنتظم ٩/ ١٥٧ (١٧/ ١١٢).

وزير السلطان، بوكالة من الخليفة، وكان الصداق مائة ألف دينار، ونُثرت الجواهر والدنانير، وكان العقد بأصبهان[١].

وفيها تولّى مجاهد الدين بهروز شِحنكيّة بغداذ، وكان سبب ذلك أنّ السلطان محمّداً[٢] كان قبض على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد، صاحب المخزن، وعلى أبي الفرج بن رئيس الرؤساء، واعتقلهما عنده، ثم أطلقهما الآن، وقرّر عليهما مالاً يحملانه إليه، فأرسل مجاهدَ الدين بهروزَ لقبض المال، وأمره السلطان بعمارة دار المملكة، ففعل ذلك، وعمّر الدار، وأحسن إلى الناس، فلمّا قدِم السلطان إلى بغداذ ولاّه شِحنكيّة العراق جميعه، وخلع على سعيد بن حُميد العمريّ، صاحب جيش صدقة، وولاّه الحِلّة السيفيّة، وكان صارماً، حازماً، ذا رأي وجَلَد[٣].

وفيها، في شوّال، ملك الأمير سُكمان القُطبيُّ، صاحب خِلاط، مدينة ميّافارِقين بالأمان، بعد أن حصرها وضيّق على أهلها عدّة شهور، فعدمت الأقوات بها، واشتدّ الجوع بأهلها فسلّموها[٤].

وفي هذه السنة، في صفر، قُتل قاضي أصبهان عُبيد الله بن عليّ الخطيبيُّ بهَمذان، وكان قد تجرّد، في أمر الباطنيّة، تجرّداً عظيماً، وصار يلبس درعاً حذراً منهم، (ويحتاط، ويحترز)[٥]، فقصده إنسان عجميّ، يوم جمعة، ودخل بينه وبين أصحابه فقتله.

وقُتل صاعد بن محمّد[٦] بن عبد الرحمٰن أبو العلاء قاضي نَيسابور، يوم عيد الفِطْر، قتله باطنيٌّ، وقُتل الباطنيُّ، ومولده سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة، وسمع الحديث، وكان حنفيَّ المذهب[٧].

وفي هذه السنة سار قَفَل عظيم من دمشق إلى مصر، فأتى الخبر إلى ملك

---

(١) المنتظم ٩/١٥٩، ١٦٠ (١٧/١١٢)، دول الإسلام ٢/٣١، العبر ٤/٤، تاريخ الإسلام ١٤، مرآة الجنان ٣/١٧١، البداية والنهاية ١٢/١٧٠.

(٢) في الأوربية: «محمد».

(٣) المنتظم ٩/١٦٠ (١٧/١١٢).

(٤) تاريخ الفارقي ٢٧٤، ٢٧٥.

(٥) من (ب).

(٦) العبر ٤/٤، تاريخ الإسلام ١٤، مرآة الجنان ٣/١٧١، شذرات الذهب ٤/٤.

(٧) يبدأ هنا النقل من النسخة الباريسية رقم ٥٠٧.

الفرنج، فسار إليه وعارضه في البرّ، وأخذ كلّ من فيه، ولم يسلم منهم إلاّ القليل، ومَن سلم أخذه العرب[١].

وفيها، في فِصح النصارى، ثار جماعة من الباطنيّة في حصن شَيْزَر على حين غفلة من أهله في مائة رجل، فملكوه، وأخرجوا مَن كان فيه، وأغلقوا بابه، وصعدوا إلى القلعة فملكوها، وكان أصحابها بنو مُنقِذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى، وكانوا قد أحسنوا، إلى هؤلاء الذين أفسدوا، كلّ الإحسان، فبادر أهل المدينة الباشورة، فأصعدهم النساء في الحبال من الطاقات، وصاروا معهم، وأدركهم الأمراء بنو مُنقِذ أصحاب الحصن، فصعدوا إليهم، فكبّروا عليهم وقاتلوهم[٢]، فانخذل الباطنيّة، وأخذهم السيف من كلّ جانب، فلم يفلت منهم أحد، وقُتل من كان على مثل رأيهم في البلد[٣].

وفيها وصل إلى المَهديّة[٤]، (ثلاثة نفر)[٥] غرباء، فكتبوا إلى أميرها[٦] يحيى بن تميم يقولون: إنّهم يعملون الكيمياء؛ فأحضرهم عنده، وأمرهم أن يعملوا شيئاً يراه من صناعتهم، فقالوا: نعمل النقرة؛ فأحضر لهم ما طلبوا من آلة وغيرها[٧]، وقعد معهم هو والشريف (أبو الحسن)[٨]، وقائد جيشه واسمه إبراهيم، وكانا يختصّان به[٩]، فلمّا (رأى الكيماوية)[١٠] المكان خالياً (من جمع)[١١] ثاروا بهم، فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه، فوقعت السكّين في عمامته فلم تصنع شيئاً، ورفسه يحيى فألقاه على ظهره، ودخل يحيى باباً وأغلقه على نفسه، فضرب الثاني الشريفَ فقتله، وأخذ القائد إبراهيم السيف فقاتل الكيماوية[١٢]، ووقع الصوت، فدخل أصحاب الأمير يحيى فقتلوا

---

(١) تاريخ الإسلام ١٤.

(٢) في الباريسية: «وقاتلوا».

(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٤، دول الإسلام ٢/ ٣١، العبر ٤/ ٤، تاريخ الإسلام ١٤/ ١٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٩، تاريخ الخلفاء ٤٢٩.

(٤) في الباريسية زيادة: «من إفريقية».

(٥) في الباريسية: «قوم».

(٦) من الباريسية.

(٧) من الباريسية.

(٨) في الباريسية: «ابن حسن».

(٩) في الباريسية زيادة: «وكان أصحاب الكيمياء أيضاً ثلاثة».

(١٠) في الباريسية: «رأوا».

(١١) من ب.

(١٢) في الباريسية: «الكيميانية».

الكيماوية، وكان زِيّهم زِيّ أهل الأندلس، فقُتل جماعة من أهل البلد على مثل زيّهم، وقيل للأمير يحيى: إنّ هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدّم بن خليفة، واتّفق أنّ الأمير أبا الفتوح بن تميم، (أخا يحيى)[1]، وصل تلك الساعة إلى القصر في أصحابه وقد لبسوا السلاح، فمُنع من الدخول، فثبت عند الأمير يحيى أنّ ذلك بوضع منهما، فأحضر المقدّم بن خليفة، وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصاً، لأنّه قتل أباهم، وأخرج الأمير أبا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم، وهي ابنة عمّه، ووكّل بهما في قصر زياد بين المهديّة وسَفَاقُس، فبقي هناك إلى أن مات يحيى، وملك بعده ابنه عليّ[2] سنة تسع وخمسمائة، فسيّر أبا الفتوح وزوجته بلارة إلى ديار مصر في البحر، فوصلا إلى إسكندريّة، على ما نذكره إن شاء الله.

وفيها، في المحرّم، قُتل عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمّد أبو المحاسن الرويانيُّ[3] الطبريُّ، الفقيه الشافعيُّ، مولده سنة خمس عشرة وأربعمائة، وكان حافظاً لمذهب، ويقول: لو احترقتْ كُتُب الشافعيّ لأمليتُها من قلبي.

[الوفيات]

وفيها، في جُمادى الآخرة، توفّي الخطيب أبو زكريّاء يحيى بن عليّ التّبريزيُّ[4]، الشيبانيُّ، اللُّغَويُّ، صاحب التصانيف المشهورة، وله شِعر ليس بالجيد.

وفيها، في رجب، توفّي السيّد أبو هاشم زيد الحسيني[5]، العلويُّ، رئيس هَمذان، وكان نافذ الحكم، ماضي الأمر، وكانت مدّة رئاسته لها سبعاً[6] وأربعين سنة، وجدّه لأمّه الصاحب (أبو القاسم)[7] بن عبّاد، وكان عظيم المال جدّاً، فمن ذلك أنّه أخذ منه السلطان محمّد في دفعة واحدة سبع مائة ألف دينار لم يبعْ لأجلها ملكاً ولا

---

(١) من الباريسية.

(٢) في الباريسية: «يحيى».

(٣) انظر عن قتل الروياني في: المنتظم ٩/ ١٦٠ رقم ٢٥٩ (١٧/ ١١٣ رقم ٣٧٨١)، والعبر ٤/ ٤، ٥، وتاريخ الإسلام ١٥، ومرآة الجنان ٣/ ١٧١، وتاريخ الخميس ٢/ ٤٠٣، وشذرات الذهب ٤/ ٤.

(٤) انظر عن (التبريزي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٢ هـ.) ص ٧٣ ـ ٧٦ رقم ٦١، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٥) في طبعة صادر ١٠/ ٤٧٣ «الحسني»، والتصحيح من: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٢ هـ.) ص ٥٨، ٥٩ رقم ٣٣.

(٦) في الأوربية: «سبع».

(٧) من الباريسية.

استدان ديناراً[١]، وأقام بعد ذلك بالسلطان[٢] محمّد، عدّة شهور، في جميع ما يريده، وكان قليل المعروف.

وفيها، في ذي الحجّة، توفّي أبو الفوارس الحسين[٣] بن عليّ الخازن، الكاتب المشهور بجودة الخطّ، وله شعر منه:

عـنّـتِ الـدُّنـيـا لـطـالِـبِـهـا	واسـتـراحَ الـزاهـدُ الـفَـطِـنُ
عَـرِفَ الـدُّنـيـا فـلـم يـرَهـا	وسِـواه[٤] حـظّـه الـفِـتَـنُ
كُـلُّ مَـلْـكٍ نـال زُخـرُفَـهـا	حـظّـهُ[٥] مـمّـا حَـوى كَـفَـنُ
يَـقْـتـنـي مـالاً ويـتـرُكُـهُ	فـي كـلا[٦] الـحـالَـيْـن مفتتَنُ
أمَـلـي كَـوْنـي عـلـى ثِـقـةٍ	مـن لـقـاء الـلّـه مُـرتَـهَـنُ
أكـره الـدُّنْـيـا وكـيـفَ بـهـا	والـذي تـسـخـو بـه وسَـنُ
لـم تَـدُمْ قـبـلـي عَـلـى أحـدٍ	فَـلِـمـاذا الـهـمُّ والـحَـزَنُ؟

(وقيل توفّي سنة تسعٍ وتسعين وأربعمائة، وقد ذُكر هناك)[٧].

(١) في (ب): «دينا».

(٢) في (ب): «عند السلطان».

(٣) في طبعة صادر ١٠/ ٤٧٤ «الحسن»، وكذا في تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٠، والمثبت عن ترجمته التي سبقت في وفيات (٤٩٩ هـ.)، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٢ هـ.) ص ٥٧ رقم ٣١.

(٤) في الأوربية: «سواه».

(٥) في تاريخ الإسلام: «حسبه».

(٦) في الأوربية: «كلى».

(٧) من الباريسية.

٥٠٣
ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام

في هذه السنة، حادي عشر ذي الحجّة، ملك الفرنج طرابلس.

وسبب ذلك: أنّ طرابلس كانت قد صارت في حكم صاحب مصر ونائبه فيها، والمدد يأتي إليها منه، وقد ذكرنا ذلك سنة إحدى وخمسمائة. فلمّا كانت هذه السنة، أوّل شعبان، وصل أسطول كبير من بلد الفرنج في البحر، ومقدّمهم قمّص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال، والسلاح، والميرة، فنزل على طرابلس، وكان نازلاً عليها قبله السرداني ابن أُخت صَنجيل، وليس بابن أُخت ريمند هذا، بل هو قمّص آخر، فجرى بينهما فتنة أدّت إلى الشرّ والقتال، فوصل طَنكري صاحب أنطاكية إليها، معونةً للسرداني، ووصل الملك بغدوين، صاحب القدس، في عسكره، فأصلح بينهم، ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس، وشرعوا في قتالها، ومضايقة أهلها، من أوّل شعبان، وألصقوا أبراجهم بسورها، فلمّا رأى الجُند وأهل البلد ذلك سُقِط في أيديهم، وذلّت نفوسهم، وزادهم ضعفاً تأخُّر الأسطول المصريّ عنهم بالميرة والنجدة.

وكان سبب تأخّره: أنّه فرغ منه، والحثّ[1] عليه، واختلفوا فيه أكثر من[2] سنة، وسار، فردّته الريح، فتعذّر عليهم الوصول إلى طرابلس ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ومدّ الفرنج القتال عليها من الأبراج والزحف، فهجموا على البلد وملكوه عَنوة وقهراً يوم الإثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة من السنة، ونهبوا ما فيها،

---

(١) في (ب): «وارتجت».

(٢) في (ب): «أكثر من كل سنة».

وأسروا الرجال، وسبوا النساء والأطفال، ونهبوا الأموال، وغنموا من أهلها من الأموال، والأمتعة، وكُتُب دُور العلم الموقوفة، ما لا يُحدّ ولا يُحصى، فإنّ أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالاً وتجارة، وسلم الوالي الذي كان بها، وجماعة من جُندها كانوا التمسوا الأمان قبل فتحها، فوصلوا إلى دمشق، وعاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات، وأُخذت دفائنهم وذخائرهم في مكامنهم[١].

ذكر ملك الفرنج جَبَلَة[٢] وبانياس[٣]

لمّا فرغ الفرنج من طرابلس سار طَنكري، صاحب أنطاكية، إلى بانياس، وحصرها، وافتتحها، وأمّن أهلها، ونزل مدينة جبلة[٤]، وفيها فخر المُلك بن عمّار، الذي كان صاحب طرابلس، وكان القوت فيها قليلاً، فقاتلها إلى أن ملكها في الثاني والعشرين من ذي الحجّة من السنة بالأمان، وخرج فخر المُلك بن عمّار سالماً.

ووصل، عُقَيْب ملْك طرابلس، الأسطول المصريّ بالرجال[٥]، والمال، والغلال، وغيرها، ما يكفيهم سنة، فوصل إلى صور بعد أخذها بثمانية أيّام للقضاء النازل بأهلها، وفُرّقت الغلال التي فيها والذخائر في الجهات المنفذة إليها صور، وصيدا، وبيروت.

وأمّا فخر المُلك بن عمّار فإنّه قصد شَيْزَر، فأكرمه صاحبها الأمير سلطان بن عليّ بن مُنقِذ الكِنانيُّ، واحترمه، وسأله أن يقيم عنده، فلم يفعل، وسار إلى دمشق، فأنزله طُغتِكين صاحبها، وأجزل له في الحمل والعطيّة، وأقطعه أعمال الزبداني، (وهو

---

(١) انظر عن سقوط طرابلس في: تاريخ حلب للعظيمي ٣٦٤ (٣٠)، وذيل تاريخ دمشق ١٦٣، وتاريخ الزمان ١٣٢، والأعلاق الخطيرة ج ٢ ق ١/١١١، وتاريخ ابن الراهب ٧٢، ٧٣، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/٢٧، ونهاية الأرب ٢٨/٢٦٤ ـ ٢٦٧، والمختصر لأبي الفداء ٢/٢٢٤، والدرة المضية ٤٧٢، ودول الإسلام ٢/٣٢، والعبر ٤/٦، وتاريخ الإسلام ١٦، والإعلام والتبيين ١٦ (حوادث ٥٠٠ هـ.)، ومرآة الجنان ٣/١٧٢، ١٧٣، والبداية والنهاية ١٢/١٧١، ومآثر الإنافة ٢/١٦ و ٢٠، ومختصر التواريخ للسلامي (مخطوط) ٢٧٧، واتعاظ الحنفا ٣/٤٣، ٤٤، والنجوم الزاهرة ٥/١٧٩، ١٨٠، وشذرات الذهب ٤/٦، وتاريخ طرابلس ١/٤٣٨ ـ ٤٤٢.

(٢) في طبعة صادر ١٠/٤٧٦ «جبيل»، والصواب ما أثبتناه لأن جبيل كانت سقطت قبل ذلك، وابن عمار نزل جبلة وليس جبيل.

(٣) من الباريسية.

(٤) في طبعة صادر ١٠/٤٧٦، «جبيل» وهو غلط.

(٥) من (ب).

عمل كبير)[1] من أعمال دمشق، وكان[2] ذلك في المحرّم سنة اثنتين وخمسمائة[3].

ذكر الحرب بين محمّد خان وساغربك[4]

في هذه السنة عاد ساغربك وجمع العساكر الكثيرة من الأتراك وغيرهم وقصد أعمال محمّد خان بسمرقند وغيرها، فأرسل محمّد خان إلى سَنجَر يستنجده، فسيّر إليه الجنود، واجتمع معه أيضاً كثير من العساكر، وسار إلى ساغربك فالتقوا بنواحي الخشب واقتتلوا فانهزم ساغربك وعساكره وأخذت السيوف منهم مأخذها وكثر الأسر فيهم والنهب، فلمّا فرغوا من حربهم وأمن محمّد خان من شرّ ساغربك عاد العسكر السنجريُّ إلى خُراسان فعبروا النهر إلى بلخ.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في المحرّم، سيّر السلطان وزيره نظام المُلك أحمد بن نظام المُلك إلى قلعة أَلَمُوت لقتال الحسن بن الصَّبّاح ومَن معه من الإسماعيليّة، فحصروهم، وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضاً[5].

وفيها، في ربيع الآخر، قدِم السلطان إلى بغداذ، وعاد عنها في شوّال من السنة أيضاً[6].

وفيها، في شعبان، توجّه الوزير نظام المُلك إلى الجامع، فوثب به الباطنيّة، فضربوه بالسكاكين، وجُرح في رقبته، فبقي مريضاً مدّةً، ثم برأ، وأُخذ الباطنيُّ الذي جرحه فسُقي الخمر حتّى سكر، ثم سُئل عن أصحابه، فأقرّ على جماعة بمسجد المأمونيّة، فأُخذوا وقُتلوا[7].

---

(١) من (ب).

(٢) من الباريسية.

(٣) تاريخ حلب ٣٦٤ (٣٠)، ذيل تاريخ دمشق ١٦٤ وفيه «جبيل» وهو غلط، ومرآة الزمان ج ٨ ق ٢٨/١، ونهاية الأرب ٢٦٧/٢٨، ٢٦٨، والمختصر ٢٢٣/٢، ودول الإسلام ٣٢/٢ (جبيل)، والعبر ٦/٤ (جبيل)، والدرّة المضية ٤٧٢ وفيه: «حلبا»، وتاريخ الإسلام ١٧، والبداية والنهاية ١٧١/١٢، والإعلام والتبيين ١٨ (جبيل)، وبغية الطلب (مخطوط) ١٤٠/٨ (جبيل)، والنجوم الزاهرة ١٨٠/٥، وتاريخ طرابلس ٤٥٦/١، ٤٥٧.

(٤) في (ب): «ساغوبك».

(٥) زبدة التواريخ للحسيني ١٧٠ وفي سنة ٥٠١ هـ.، نهاية الأرب ٣٦٩/٢٦، تاريخ الإسلام ١٧.

(٦) المنتظم ١٦٣/٩ (١١٧/١٧)، تاريخ الإسلام ١٨.

(٧) المنتظم ١٦٣/٩ (١١٧/١٧)، نهاية الأرب ٣٦٩/٢٦، تاريخ الإسلام ١٨، البداية والنهاية ١٧١/١٢.

(وفيها عُزل وزير الخليفة، وهو أبو المعالي بن المطّلب، ووَزَرَ بعده الزعيم أبو القاسم بن جَهِير، فخرج ابن المطّلب من دار الخليفة مستتراً هو وأولاده واستجار بدار السلطان)[1].

وفيها جهّز يحيى بن تميم، صاحب إفريقية، خمسة عشر شينيّاً وسيّرها إلى بلاد الروم، فلقيها أسطول الروم، وهو كبير، فقاتلوهم، وأخذوا ستّ قطع من شواني المسلمين، ولم ينهزم بعد ذلك ليحيى جيش في البحر والبرّ.

وسيّر ابنَهُ أبا الفتوح إلى مدينة سَفَاقُس والياً عليها، فثار به أهلها، فنهبوا قصره، وهمّوا بقتله، فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم، حتّى فرّق كلمتهم، وبدّد شملهم، وملك رقابهم فسجنهم، وعفا عن دمائهم وذنوبهم.

[الوفيات]

وفيها توفّي الأمير إبراهيم ينّال، صاحب آمِد، وكان قبيح السيرة، مشهوراً بالظلم، فجلا كثير من أهلها لجوره، وملك بعده ولده، وكان أصلح حالاً منه[2].

وفيها، في ثامن ذي القعدة، ظهر في السماء كوكب من الشرق له ذؤآبة ممتدّة إلى القبلة، وبقي يطلع إلى آخر ذي الحجّة، ثم غاب.

---

(١) من البارسية.

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٦٧، الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ٢/ ٥١١، تاريخ الإسلام ١٨، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٢/ ٢١١.

٥٠٤
ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة

ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا

في هذه السنة، في ربيع الآخر، ملك الفرنج مدينة صيدا، من ساحل الشام.

وسبب ذلك: أنّه وصل في البحر إلى الشام ستّون مركباً للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحجّ البيت المقدّس (وليغزو بزعمه المسلمين)[١]، فاجتمع بهم بَغدوين ملك القدس، وتقرّرت القاعدة بينهم أن يقصدوا بلاد الإسلام، فرحلوا[٢] من القدس، ونزلوا[٣] مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة، وضايقوها برّاً وبحراً.

وكان الأسطول المصريُّ مقيماً على صور، فلم يقدر على إنجاد صيدا، فعمل الفرنج برجاً من الخشب، وأحكموه، وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة، وزحفوا به، فلمّا عاين أهل صيدا ذلك ضعُفت نفوسهم، وأشفقوا أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت، فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها إلى الفرنج، وطلبوا من ملكهم الأمان فأمّنهم على أنفسهم، وأموالهم، والعسكر الذي عندهم، ومَنْ أراد المقام بها[٤] عندهم أمّنوه، ومَن أراد المسير عنهم لم يمنعوه، وحلف لهم على ذلك، فخرج الموالي، وجماعة كثيرة من أعيان أهل البلد، في العشرين من جُمادى الأولى إلى دمشق، وأقام بالبلد خلق كثير تحت الأمان، وكانت مدّة الحصار سبعة وأربعين يوماً.

ورحل بغدوين عنها إلى القدس، ثم عاد إلى صيدا، بعد مدّة يسيرة، فقرّر على

---

(١) من الپاريسية.

(٢) في الأوربية: «فرحلا».

(٣) في الأوربية: «ونزلا».

(٤) في الأوربية: «به».

المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار، فأفقرهم، (واستغرق أموالهم)[1].

ذكر استيلاء المصريّين على عَسقلان

كانت عَسقلان للعلويّين المصريّين، ثم إنّ الخليفة الآمر بأحكام الله استعمل عليها إنساناً يُعرف بشمس الخلافة، فراسل بغدوينَ ملك الفرنج بالشام، وهادنه، وأهدى إليه مالاً وعروضاً، فامتنع به من أحكام المصريّين عليه، إلاّ فيما يريد من غير مجاهرةٍ بذلك.

فوصلت الأخبار بذلك إلى الآمر بأحكام الله، صاحب مصر، وإلى وزيره الأفضل[2]، أمير الجيوش، فعظم الأمر عليهما، وجهّز عسكراً وسيّراه إلى عسقلان مع قائد كبير من قوّاده، وأظهرا أنّه يريد الغزاة، ونفّذا إلى القائد سِرّاً أن يقبض على شمس الخلافة إذا حضر عندهم، ويقيم هو عوضه بعسقلان أميراً. فسار العسكر، فعرف شمس الخلافة الحال، فامتنع من الحضور عند العسكر المصريّ، وجاهر بالعصيان، وأخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفاً منهم.

فلمّا عرف الأفضل ذلك خاف أن يسلّم عسقلان إلى الفرنج، فأرسل إليه وطيّب قلبه، وسكّنه، وأقرّه على عمله، وأعاد عليه إقطاعه بمصر.

ثم إنّ شمس الخلافة خاف أهل عسقلان، فأحضر جماعة من الأرمن واتّخذهم جنداً، ولم يزل على هذه الحال إلى آخر سنة أربع وخمسمائة، فأنكر الأمرَ أهلُ البلد، فوثب به قوم من أعيانه، وهو راكب، فجرحوه، فانهزم منهم إلى داره، فتبِعوه وقتلوه، ونهبوا داره وجميع ما فيها، ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الأموال بهذه الحُجّة، وأرسلوا إلى مصر بجليّة الحال إلى الآمر والأفضل، فسُرّا بذلك، وأحسنا إلى الواصلين بالبشارة، وأرسلا إليه والياً يقيم بها، ويستعمل مع أهل البلد الإحسان وحُسن السيرة، فتمّ ذلك، وزال ما كانوا يخافونه[3].

---

(١) من (ب). وانظر عن سقوط صيدا في: تاريخ حلب ٣٦٥ (٣٠)، وذيل تاريخ دمشق ١٧١ (٥٠٣ هـ.)، ونهاية الأرب ٢٨/٢٦٨، ٢٦٩، والمختصر ٢/٢٢٤، والدرة المضية ٤٧٤، ودول الإسلام ٢/٣٢، وتاريخ الإسلام ١٩، والعبر ٤/٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٠، والإعلام والتبيين ١٩، والبداية والنهاية ١٢/١٧٢، ومآثر الإنافة ٢/١٦، وإتعاظ الحنفا ٣/٤٥، ٤٦، وشذرات الذهب ٤/٧، وأخبار الأعيان في جبل لبنان ٢/٥٠٧، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية ٢٧٩ ـ ٢٨٢، وفيه مصادر أخرى.

(٢) في (ب) زيادة: «ابن».

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٧٢، دول الإسلام ٢/٣٢، تاريخ الإسلام ١٩، ٢٠، إتعاظ الحنفا ٣/٥٠، ٥١ (٥٠٦ هـ.).

ذكر ملك الفرنج حصن الأثارب وغيره

في هذه السنة جمع صاحب أنطاكية عساكره من الفرنج، وحشد الفارس والراجل، وسار نحو حصن الأثارب، وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ، وحصره، ومنع عنه الميرة، فضاق الأمر على مَن به من المسلمين، فنقبوا من القلعة نقباً، قصدوا أن يخرجوا منه إلى خيمة صاحب أنطاكية فيقتلوه، فلمّا فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن إليه صبيّ أرمنيّ، فعرّفه الحال، فاحتاط، واحترز منهم، وجدّ في قتالهم، حتّى ملك الحصن قهراً وعنوةً، وقتل من أهله ألفَيْ رجل، وسبى[1] وأسر الباقين.

ثم سار إلى حصن زَرْدَنا، فحصره، ففتحه، وفعل بأهله مثل الأثارب، فلمّا سمع أهل مَنبِج بذلك فارقوها خوفاً من الفرنج، وكذلك أهل بَالِسَ، وقصد الفرنج البلدَيْن فرأوهما وليس بهما أنيسٌ، فعادوا عنهما[2].

وسار عسكر من الفرنج إلى مدينة صيدا، فطلب أهلها منهم الأمان، فأمّنوهم وتسلّموا البلد، فعظُم خوف المسلمين منهم، وبلغت القلوب الحناجر، وأيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامي له والمانع عنه، فشرع أصحاب البلاد الإسلامية بالشام في الهدنة معهم، فامتنع الفرنج من الإجابة إلاّ على قطيعةٍ يأخذونها إلى مدّة يسيرة، فصالحهم الملك رضوان، صاحب حلب، على اثنين وثلاثين ألف دينار، وغيرها من الخيول والثياب، وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار، وصالحهم ابن مُنقذ، صاحب شَيْزر، على أربعة آلاف دينار، وصالحهم عليّ الكرديُّ، صاحب حماة، على ألفَيْ دينار[3]، وكانت مدّة الهدنة إلى وقت إدراك الغلّة وحصادها[4].

ثم إنّ مراكب أقلعت من ديار مصر، فيها التجّار ومعهم الأمتعة الكثيرة، فوقع عليها مراكب الفرنج، فأخذوها، وغنموا ما مع التجّار، وأسروهم، فسار جماعة من أهل حلب إلى بغداذ، مستنفرين على الفرنج. فلمّا وردوا بغداذ اجتمع معهم خلق كثير

---

(١) في الأوربية: «وسبا».

(٢) في الأوربية: «عنها»، والخبر في: نهاية الأرب ٢٨/٢٦٩، والمختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٤، وتاريخ الإسلام ٢٠.

(٣) قال الذهبي ـ رحمه الله ـ وكانت حماه صغيرة جداً. ص ٢٠.

(٤) تاريخ الزمان ١٣٢، ونهاية الأرب ٢٨/٢٦٩، ٢٧٠ والمختصر ٢/٢٢٤، ٢٥٥، ودول الإسلام ٢/٣٣، وتاريخ الإسلام ٢٠، والإعلام والتبيين ١٩، ٢٠، وتاريخ ابن الوردي، ٢/٢٠، ومآثر الإنافة ٢/١٦، وإتعاظ الحنفا ٣/٤٦، وتاريخ الخلفاء ٤٢٩، ولبنان من السيادة الفاطمية ٢٨٧.

من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع[1] السلطان، واستغاثوا، ومنعوا من الصلاة، وكسروا المنبر، فوعدهم السلطان بإنفاذ العساكر للجهاد، وسيّر من دار الخلافة مِنبراً إلى جامع السلطان. فلمّا كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة، ومعهم أهل بغداذ، فمنعهم حاجب الباب من الدخول، فغلبوه على ذلك، ودخلوا الجامع، وكسروا شبّاك المقصورة، وهجموا[2] إلى المنبر فكسروه، وبَطَلت الجمعة أيضاً، فأرسل الخليفة إلى السلطان في المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورَتْقه[3]، فتقدّم حينئذ إلى من معه من الأمراء بالمسير إلى بلادهم، والتجهّز للجهاد، وسيّر ولدَهُ الملك مسعوداً[4] مع الأمير مودود، صاحب الموصل، وتقدّموا إلى الموصِل ليلحق بهم الأمراء ويسيروا[5] إلى قتال الفرنج، وانقضت السنة، وساروا في سنة خمسٍ وخمسمائة[6]، (وكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ)[7].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة عُزل نظام المُلك أحمد من وزارة السلطان، ووزر بعده الخطير محمّد بن الحسين المَيْبُذيُّ[8].

وفيها ورد رسول ملك الروم (إلى السلطان)[9] يستنفره على الفرنج، ويحثّه على قتالهم ودَفْعهم عن البلاد، وكان وصوله قبل وصول أهل حلب، وكان أهل حلب يقولون للسلطان: أما تتّقي الله تعالىٰ أن يكون ملك الروم أكثر حميّة منك للإسلام، حتّى قد أرسل إليك في جهادهم!

وفيها، في رمضان، زُفّت ابنة السلطان ملكشاه إلى الخليفة، وزُيّنت بغداذ

---

(١) من (ب).
(٢) في (ب): «ودخلوا».
(٣) في الأوربية: «ورفعه».
(٤) في الأوربية: «مسعود».
(٥) في الأوربية: «ويسيرون».
(٦) المنتظم ٩/ ١٦٥ (١٧/ ١٢٠)، تاريخ الزمان ١٣٣، زبدة الحلب ٢/ ١٥٨، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٤٦، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٤، دول الإسلام ٢/ ٣٣، تاريخ الإسلام ٢١، العبر ٤/ ٧، الإعلام والتبيين ٢٠، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٢.
(٧) من (ب).
(٨) زبدة التواريخ ١٧٣، تاريخ دولة آل سلجوق ٩٩، تاريخ الإسلام ٢١.
(٩) من (ب).

وغُلِّقتْ[١]، وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها[٢].

(وفيها هبّت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا، وأخذت بأنفاس الناس، ولم يقدر أحد [أن] يفتح عينَيْه، ومَنْ فتحهما[٣] لا يبصر يده، ونزل على الناس رمل، ويئس الناس من الحياة، وأيقنوا بالهلاك، ثم تجلّى[٤] قليلاً، وعاد إلى الصفوة، وكان ذلك من أوّل وقت العصر إلى بعد المغرب)[٥].

[الوفيات]

وفيها، (في المحرّم)[٦]، توفّي إلكِيا الهرّاس[٧] الطبريُّ واسمه (أبو الحسن)[٨] عليُّ بن محمّد بن عليّ، وكان من أعيان الفقهاء الشافعيّة، أخذ الفقه عن إمام الحرمَيْن الجوينيّ، ودرّس بعده في النظاميّة ببغداذ، وتوفّي بها، ودُفن عند تربة الشيخ أبي إسحاق، ودرّس بعده في النظاميّة الإمام أبو بكر الشاشيُّ.

وفيها توفّي أبو الحسن إدريس بن حمزة[٩] بن عليّ الرمليُّ الفقيه الشافعيُّ من أهل الرملة بفلسطين، تفقّه على أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسيّ، وعلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ، ودخل خُراسان ووليَ التدريس بسمرقند، فتوفّي بها.

---

(١) في الأوربية: «وعُلّقت».

(٢) المنتظم ٩/ ١٦٥، ١٦٦ (١٧/ ١٢٠)، زبدة التواريخ ١٧١، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٤، دول الإسلام ٢/ ٣٣، تاريخ الإسلام ٢١، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٢، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٠.

(٣) في الأوربية: «فتحها».

(٤) في الأوربية: «تجلاّ».

(٥) الخبر ما بين القوسين من الباريسية، وهو في: مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٥، وأخبار الدول المنقطعة ٩٠، وفيه: «وكانت مدة هذه الشدّة منذ صلاة العصر إلى صلاة المغرب في سنة أربع وخمسين»، وهذا وهم، والصحيح: «أربع وخمسمائة»، والدرّة المضية ٤٧٤، ٤٧٥، وتاريخ الإسلام ٢١، واتعاظ الحنفا ٣/ ٤٧، وتاريخ الخلفاء ٤٢٩، ٤٣٠.

(٦) من الباريسية.

(٧) انظر عن (إلكيا الهراس) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٤ هـ.) ص ٩٢ ـ ٩٥ رقم ٨٨، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٨) من الباريسية.

(٩) انظر عن (إدريس بن حمزة) في: المنتظم ٩/ ١٢١ رقم ٣٧٩٣، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧١، وفيه «أبو الحسن الشاشي». وفي طبعة صادر ١٠/ ٤٨٤، «أبو الحسين» والمثبت عن المصدرين.

٥٠٥
ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة

ذكر مسير العساكر إلى قتال الفرنج

في هذه السنة اجتمعت العساكر التي أمرها السلطان بالمسير إلى قتال الفرنج، فكانوا: الأمير مودود، صاحب الموصل، والأمير سُكمان القُطبيّ، صاحب تِبريز وبعض ديار بكر، والأميرين[١] إيلبكي وزنكي ابني[٢] بُرسق، ولهما هَمَذان وما جاورها، والأمير أحمديل، وله مَراغة، وكوتب الأمير أبو الهيجاء، صاحب إربل، والأمير إيلغازي، صاحب ماردين، والأمراء البكجيّة، باللّحاق بالملك مسعود، ومودود، فاجتمعوا، ما عدا الأمير إيلغازي فإنّه سيّر ولده إياز وأقام هو، فلما اجتمعوا ساروا إلى بلد سنجار[٣]، ففتحوا عدة حصون للفرنج، وقُتل من بها منهم، وحصروا مدينة الرُّها مدّةً، ثم رحلوا عنها من غير أن يملكوها.

(وكان سبب رحيلهم عنها أنّ الفرنج اجتمعت جميعها، فارسها وراجلها، وساروا إلى الفرات ليعبروه ليمنعوا الرُّها من المسلمين، فلمّا وصلوا إلى الفرات بلغهم كثرة المسلمين، فلم يقدموا عليه، وأقاموا على الفرات، فلمّا رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرُّها إلى حَرّانَ ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات إليهم ويقاتلوهم. فلمّا رحلوا عنها جاء الفرنج، ومعهم المِيرة والذخائر، إلى الرُّها، فجعلوا فيها كلّ ما[٤] يحتاجون إليه، بعد أن كانت قليلة المِيرة، وقد أشرفت على أن تُؤخَذ[٥]، وأخذوا كلّ من فيه عَجْز وضَعْف

---

(١) في الأوربية: «والأمير».

(٢) في الأوربية: «ابنا».

(٣) في الباريسية: «الساحل».

(٤) في الأوربية: «كلّما».

(٥) في الأوربية: «يؤخذوا».

وفقر، وعادوا إلى الفرات فعبروه إلى الجانب الشاميّ، وطرقوا أعمال حلب، فأفسدوا ما فيها، ونهبوها، وقتلوا فيها وأسروا، وسبوا خلقاً كثيراً.

وكان سبب ذلك أنّ الفرنج لمّا عبروا إلى الجزيرة خرج الملك رضوان، صاحب حلب، إلى ما أخذه الفرنج من أعمالها، فاستعاد بعضه، ونهب منهم وقتل، فلمّا عادوا وعبروا الفرات فعلوا بأعماله ما فعلوا.

وأمّا العسكر السلطانيّ فلمّا سمعوا بِعَوْد الفرنج وعبورهم الفرات، رحلوا إلى الرُّها وحصروها، فرأوا أمراً مُحْكَماً، قد قويت نفوس أهلها بالذخائر التي تُركت عندهم، وبكثرة المقاتلين عنهم، ولم يجدوا فيها مطمعاً، فرحلوا عنها[1] وعبروا الفرات، فحصروا قلعة تَلّ باشِر خمسة وأربعين يوماً، ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضاً.

ووصلوا إلى حلب، فأغلق الملك رضوان أبواب البلد، ولم يجتمع بهم، ثم مرض هناك الأمير سُكمان القُطبيُّ، فعاد مريضاً، فتوفّي في بالِس، فجعله أصحابه في تابوت، وحملوه عائدين إلى بلاده، فقصدهم إيلغازي ليأخذهم، ويغنم ما معهم، فجعلوا تابوته في القلب، وقاتلوا بين يدَيْه، فانهزم إيلغازي، وغنموا ما معه، وساروا إلى بلادهم[2].

ولمّا أغلق الملك رضوان أبواب حلب، ولم يجتمع بالعساكر السلطانيّة، رحلوا إلى مَعَرّة النعمان، واجتمع بهم طُغتِكين، صاحب دمشق، ونزل على الأمير مودود، فاطّلع من الأمراء على نيّاتٍ فاسدة في حقّه، فخاف أن تؤخذ منه دمشق، فشرع في مهادنة الفرنج سرّاً وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين، فلم يتمّ ذلك، وتفرّقت العساكر.

وكان سبب تفرّقهم أنّ الأمير (بُرسق بن)[3] برسق الذي هو أكبر الأمراء كان به نِقرِس، فهو يُحمَل في محفّة، ومات سُكمان القطبيّ، كما ذكرنا، وأراد الأمير أحمديل، صاحب مَراغة، العَود[4]، ليطلب من السلطان أن يُقطعه ما كان لسُكمان من

---

(١) من الباريسية، وفيها عبارة: «وكان سبب الخ».

(٢) تاريخ حلب ٣٦٥ (٣١)، زبدة الحلب ٢/ ١٥٨، ١٥٩، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٤٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٥، ٣٦، دول الإسلام ٢/ ٣٣، العبر ٤/ ٩، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١، مرآة الجنان ٣/ ١٧٧.

(٣) من الباريسية.

(٤) في (ب): «الغدر».

البلاد، وأتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، خاف الأمراء على نفسه، فلم ينصحهم، إلاّ أنّه حصل بينه وبين مودود، صاحب الموصل، مودّة وصداقة، فتفرّقوا لهذه الأسباب، وبقي مودود وطُغتِكين بالمَعَرَّة، فساروا منها، ونزلوا على نهر العاصي.

ولمّا سمع الفرنج بتفرّق عساكر الإسلام طمعوا، وكانوا قد اجتمعوا كلّهم[1]، بعد الاختلاف والتباين، وساروا إلى أفامية[2]، فسمع بهم سُلطان بن مُنقذ، صاحب شَيْزر، فسار إلى مودود وطُغتِكين، وهوّن عليهما أمر الفرنج، وحرّضهما على الجهاد، فرحلوا إلى شَيْزَر، ونزلوا عليها، ونزل الفرنج بالقرب منهم، فضيّق عليهم عسكر المسلمين الميرة، ولزّوهم[3] بالقتال، والفرنج يحفظون نفوسهم، ولا يعطون مصافّاً، فلمّا رأوا قوّة المسلمين عادوا إلى أفامية[4] وتبعهم المسلمون، فتخطّفوا من أدركوه في ساقتهم وعادوا إلى شَيْزَر في ربيع الأوّل[5].

ذكر حصر الفرنج مدينة صور

لمّا تفرّقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصْرها، فساروا إليها مع الملك بَغدوين[6]، صاحب القدس، وحشدوا، وجمعوا، ونازلوها وحصروها في الخامس والعشرين من جُمادى الأولى، وعملوا عليها ثلاثة أبراج خشب، عُلُوّ البرج سبعون ذراعاً، وفي كلّ برج ألف رجل، ونصبوا عليها المجانيق، وألصقوا (أحدها إلى)[7] سور البلد، وأخلوه من الرجال.

وكانت صور للآمر بأحكام الله العلويّ ونائبه بها عزّ المُلك الأعزّ، فأحضر أهل البلد، واستشارهم في حيلةٍ يدفعون بها شرّ الأبراج عنهم، فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه إحراقها وأخذ معه ألف رجل بالسلاح التامّ، ومع كلّ رجل منهم حُزمة حطب، فقاتلوا الفرنج إلى أن وصلوا إلى البرج الملتصق بالمدينة، فألقى الحطب من جهاته، وألقى فيه النار، ثم خاف أن يشتغل الفرنج (الذين في البرج)[8] بإطفاء

---

(١) من (ب).
(٢) في الأوربية: «فامية».
(٣) في الأوربية: «ولذوهم».
(٤) في الأوربية: «فامية».
(٥) المصادر السابقة.
(٦) في (ب): «بردويل»، وفي الباريسية: «بردوين».
(٧) من (ب).
(٨) من (ب).

النار، ويتخلّصوا، فرماهم بجُرب[1] كان قد أعدّها، مملوءةٍ من العُذرة، فلمّا سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث، فتمكّنت النار منه، فهلك كلّ من به، إلاّ القليل، وأخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب، ثم أخذ سلال العنب الكبار، وترك فيها الحطب الذي قد سقاه بالنفط، والزفت، والكتّان، والكبريت، ورماهم بسبعين[2] سلّة، وأحرق البرجَيْن الآخرين.

ثم إنّ أهل صور حفروا سراديب تحت الأرض ليسقط فيها الفرنج إذا زحفوا إليهم، ولينخسف برج إن عملوه وسيّروه إليهم، فاستأمن نفر من المسلمين إلى الفرنج، وأعلموهم بما عملوه، فحذروا منها[3].

وأرسل أهل البلد إلى أتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، يستنجدونه، ويطلبونه ليسلّموا البلد إليه، فسار في عساكره إلى نواحي بانياس، وسيّر إليهم نجدة مائتَيْ فارس، فدخلوا البلد، فامتنع مَن فيه بهم، واشتدّ قتال الفرنج خوفاً من اتّصال النجدات، ففني نشّاب الأتراك، فقاتلوا بالخشب، وفني النِفط، فظفروا بسَرَب تحت الأرض فيه نفط لا يُعلم مَنْ خَزَنَهُ.

ثم إنّ عزّ الملك، صاحب صور، أرسل الأموال إلى طُغتِكين ليكثر من[4] الرجال، ويقصدهم ليملك البلد، فأرسل طُغتِكين طائراً فيه رقعة ليُعْلِمه وصولَ المال، ويأمره أن يقيم مركباً بمكان ذكره لتجيء الرجال إليه، فسقط الطائر على مركب الفرنج، فأخذه رجلان: مسلم وفرنجيّ، فقال الفرنجيّ: نطلقه[5] لعلّ فيه فَرَجاً لهم؛ لم يمكّنه المسلم، وحمله إلى الملك بغدوين، فلمّا وقف عليه سيّر مركباً إلى المكان الذي ذكره طُغتِكين، وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا إليه من صور، فوصل إليهم العسكر، فكلّموهم بالعربيّة، فلم يُنكروهم، وركبوا معهم، فأخذوهم أسْرى، وحملوهم إلى الفرنج، فقتلوهم وطمعوا في أهل صور، فكان طغتكين يُغير على أعمال الفرنج من جميع جهاتها، وقصد حصن الحبيس في السواد، من أعمال دمشق، وهو للفرنج،

(١) في الأوربية: «بجراب».
(٢) في الأوربية: «سبعين».
(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٧٩ ـ ١٨١، الأعلاق الخطيرة ٢/ ١٦٧، ١٦٨ مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٨، ٣٩، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٧٠، ٢٧١، تاريخ الإسلام ٢٣، ٢٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٣، عيون التواريخ ١٢/ ٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١٨٠ ـ ١٨٢، لبنان من السيادة الفاطمية ٢٩٠ ـ ٢٩٦.
(٤) في (ب) زيادة: «تجنيد».
(٥) في (ب): «نرسله».

فحصره، وملكه بالسيف، وقتل كلَّ من فيه، وعاد إلى الفرنج الذين على صور.

وكان يقطع الميرة عنهم في البرّ، فأحضروها في البحر، وخندقوا عليهم، ولم يخرجوا إليه، فسار إلى صيدا، وأغار على ظاهرها، فقتل جماعة من البحريّة، وأحرق نحو عشرين مركباً على الساحل، وهو مع ذلك يواصل أهلَ صور بالكتب يأمرهم بالصَّبر والفرنج يلازمون قتالهم، وقتال أهلُ صور قتالَ مَنْ أيِس من الحياة، فدام القتالُ إلى أوان إدراك الغلاّت، فخاف الفرنج أنّ طُغتِكين يستولي على غلاّت[1] بلادهم، فساروا عن البلد، عاشر شوّال، إلى عكّة، وعاد عسكر طُغتِكين إليه، وأعطاهم أهل صور الأموال وغيرها، ثم أصلحوا ما تشعّث من سورها وخندقها، وكان الفرنج قد طمّوه[2].

ذكر انهزام الفرنج بالأندلس

في هذه السنة خرج أذفونش الفرنجيُّ، صاحب طُلَيْطُلة بالأندلس، إلى بلاد الإسلام بها، يطلب ملكها، والإستيلاء عليها، وجمع وحشد فأكثر، وكان قد قوي طمعه فيها بسبب موت أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فسمع أمير المسلمين عليُّ بن يوسف بن تاشفين الخبر، فسار إليه في عساكره[3] وجموعه، فلقيه، فاقتتلوا، واشتدّ القتال، وكان الظفر للمسلمين، وانهزم الفرنج، وقُتلوا قتلاً ذريعاً، وأُسر منهم بشر كثير، وسبى منهم، وغنم من أموالهم ما يخرج من الإحصاء، فخافه الفرنج، بعد ذلك، وامتنعوا من قصد بلاده، وذلّ أذفونش حينئذٍ وعلم أنّ في البلاد حامياً لها، وذابّاً عنها[4].

[الوفيات]

وفي هذه السنة، (في جمادى الآخرة)[5]، توفّي الإمام أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزاليُّ[6]، الإمام المشهور.

---

(١) في (ب): «غلال».

(٢) ذيل تاريخ دمشق ١٧٩، مرآة الزمان ج ٨ ق ٣٩/١، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٧٠ ـ ٢٧١، البداية والنهاية ١٧٣/١٢، النجوم الزاهرة ١٨١/٥ ـ ١٨٣، تاريخ الإسلام ٢٤، ٢٥.

(٣) في الأوربية: «عساكرها».

(٤) تاريخ الإسلام ٢٥، دول الإسلام ٣٣/٢، ٣٤، العبر ٩/٤، مرآة الجنان ١٧٧/٣.

(٥) من (ب).

(٦) انظر عن (الإمام الغزالي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٥ هـ.) ص ١١٥ ـ ١٢٦ رقم ١٢٢، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

٥٠٦
ثم دخلت سنة ست وخمسمائة

[ذكر عدّة حوادث]

في هذه السنة، (في المحرّم)[١]، سار مودود، صاحب الموصل، إلى الرُّها، فنزل عليها، ورعى[٢] عسكره زروعها، ورحل عنها إلى سَروج، وفعل بها كذلك وأهمل الفرنج، ولم يحترز منهم، فلم يشعر إلاّ وجوسلين، صاحبُ تلّ باشر، قد كبسهم، وكانت دوابّ العسكر منتشرة في المرعى، فأخذ الفرنج كثيراً منها، وقتلوا كثيراً من العسكر، فلمّا تأهّب المسلمون للقائه، عاد عنهم إلى سَروج.

وفيها رحل السلطان محمّد من بغداذ، وكان مُقامه هذه المرّة خمسة أشهر، فلمّا وصل إلى أصبهان قبض على زين الملك أبي سعد القُمّيّ، وسلّمه إلى الأمير كاميار لعداوةٍ بينهما، فلمّا وصل إلى الرّيّ أركبه كاميار على دابّة بمركب ذهب، وأظهر أنّ السلطان خلع عليه على مالٍ قرّره عليه، فحصّل بذلك مالاً كثيراً من أهل القُمّيّ، ثم صلبه؛ وكان سبب قبضه أنّه كان يُكثر الطعن على الخليفة والسلطان.

وفيها كان ببغداذ رجل مغربيٌّ يعمل الكيمياء، بزعمه، اسمه أبو عليّ، فحُمل إلى دار الخلافة، وكان آخر العهد به[٣].

وفيها ورد إلى بغداذ يوسف بن أيّوب الهمذانيُّ، الواعظ، وكان من الزهّاد العابدين، فوعظ الناس بها، فقام إليه رجل متفقّه، يقال له ابن السقّاء، فآذاه في مسألةٍ، وعاوده، فقال له: اجلس، فإنّي أجد من كلامك رائحة الكفر، ولعلّك تموت على غير دين الإسلام؛ فاتّفق بعد مُدَيْدة أنّ ابن السقّاء خرج إلى بلاد الروم، وتنصّر[٤].

---

(١) من (ب).
(٢) في الأوربية: «ورعا».
(٣) المنتظم ١٧/١٢٨.
(٤) المنتظم ١٧/١٢٨.

وفيها، في ذي القعدة، سُمع ببغداذ صوت هدّةٍ عظيمة، ولم يكن بالسماء غيم حتّى يُظنّ أنّه صوت رعد، ولم يعلم أحد أيّ صوت كان.

وفيها توفّي بسيل[1] الأرمنيّ، صاحب (الدروب، ببلاد)[2] ابن لاون، فسار طَنكري، صاحب أنطاكية، أوّل جمادى الآخرة، إلى بلاده طمعاً في أن يملكها، فمرض في طريقه، فعاد إلى أنطاكية، فمات ثامن جُمادى [الآخرة]، وملكها بعده ابن أُخته سَرْخالة[3]، واستقام الأمر فيها، بعد أن جرى بين الفرنج خُلْف[4] بسببه، فأصلح بينهم القسوس والرُّهبان[5].

وفيها توفّي قراجة[6]، صاحب حمص، وكان ظالماً، وقام ولده قرجان[7] مكانه، وكان مثله[8] في قبح السيرة.

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفّي المعمّر[9] بن عليّ أبو سعد بن أبي عمامة الواعظ البغداذيُّ، ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة؛ (وكان له خاطر حادّ، ومجُون حَسَن، وكان الغالب على وعظه أخبار الصالحين)[10].

وتوفّي أحمد بن الفَرَج بن عمر الدّينَوريُّ[11]، والد شُهدة، وكان يروي عن أبي يَعْلَى بن الفرّاء، وابن المأمون، وابن المهتدي، وابن النُّقور، وغيرهم، وكان حَسَن السيرة متزهّداً.

---

(١) في (ب): «الأمير».

(٢) في الباريسية: «البلاد».

(٣) في (ب): «سرخال»، وكذا في دول الإسلام ٢/ ٣٤.

(٤) من الباريسية.

(٥) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٦، دول الإسلام ٢/ ٣٤، تاريخ الإسلام ٢٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١.

(٦) في طبعة صادر ١٠/ ٤٩٣: «قراجة»، والمثبت من: المختصر ٢/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام ٢٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١، ونسختي: (ب) وبودليان.

(٧) تصحف في الباريسية إلى: «حبرخان»، و(ب): «حبرخان»، وبودليان: «حبرحاِن»، ورقة ٥٠٨ و ٥١٧.

(٨) في الأوربية: «قبله».

(٩) انظر عن (المعمّر) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٦ هـ.) ص ١٥٠ رقم ١٦٥، وفيه مصادر ترجمته.

(١٠) من (ب).

(١١) انظر عن (الدينَوَري) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٦ هـ.) ص ١٣٢ رقم ١٢٦، وفيه مصادر ترجمته

وتوفّي أبو العلاء صاعد بن منصور[1] بن إسماعيل بن صاعد، الخطيب النَّيسابوريُّ، وكان من أعيان الفقهاء، ووليَ قضاء خُوارزم، وكان يروي الحديث.

(1) انظر عن (صاعد بن منصور) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٦ هـ.) ص ١٤٠، ١٤١ رقم ١٤٨، وفيه مصادر ترجمته.

٥٠٧
ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة

ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود

في هذه السنة، في المحرّم، اجتمع المسلمون، وفيهم الأمير مودود بن أَلْتُونتِكين، صاحب الموصل، وتَمِيرك، صاحب سِنجار، والأمير إياز بن إيلغازي، وطُغتِكين، صاحب دمشق[(١)].

وكان سبب (اجتماع المسلمين)[(٢)] أنّ ملك الفرنج بغدوين[(٣)] تابع الغارات على بلد دمشق، (ونهبه، وخرّبه)[(٤)]، أواخر سنة ستّ وخمسمائة، وانقطعت الموادّ عن دمشق[(٥)]، فغلت الأسعار (فيها، وقلّت الأقوات)[(٦)]، فأرسل طُغتِكين صاحبها إلى الأمير مودود يشرح له الحال، ويستنجده[(٧)]، ويحثّه على سرعة[(٨)] الوصول إليه، فجمع عسكراً، وسار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ستّ وخمسمائة، فخافه الفرنج.

وسمع طُغتِكين خبره، فسار إليه، ولقيه بسَلَميّة، واتّفق رأيهم على قصد بغدوين، ملك القدس، فساروا إلى الأردنّ، فنزل المسلمون عند الأقحوانة ونزل الفرنج مع

---

(١) زاد في (ب): ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج مع بغدوين ملك القدس وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين.

(٢) في الباريسية: «اجتماعهم».

(٣) في (ب): «ملك القدس».

(٤) من (ب).

(٥) في (ب): «بدمشق».

(٦) من الباريسية.

(٧) من الباريسية.

(٨) من (ب).

ملكهم بغدوين وجوسلين، صاحب جيشهم، وغيرهما من المقدّمين، والفرسان المشهورين؛ ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود، وجمع الفرنج، فالتقوا عند طَبَرِيّة ثالث عشر المحرّم، واشتدّ القتال، وصبر الفريقان، ثم إنّ الفرنج انهزموا، وكثُر القتل فيهم والأسر، وممّن أُسر ملكهم بغدوين، فلم يُعْرَفْ، فأُخذ سلاحه وأُطلق فنجا، وغرق منهم في بحيرة طَبَرِيّة ونهر الأردنّ كثير، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم، ووصل الفرنج إلى مضيق دون طَبَرِيّة، فلقيهم عسكر طرابلس وأنطاكية، فقويت نفوسهم بهم، وعاودوا الحرب، فأحاط بهم المسلمون من كلّ ناحية، وصعد الفرنج إلى جبل غرب طَبَرِيّة، فأقاموا به ستّة وعشرين يوماً، والمسلمون بإزائهم يرمونهم بالنشّاب فيصيبون من يقرب منهم، ومنعوا[1] المِيرة عنهم لعلّهم يخرجون إلى قتالهم، فلم يخرج منهم أحد، فسار المسلمون إلى بَيْسان، ونهبوا بلاد الفرنج بين عكّا إلى القدس، وخرّبوها، وقتلوا من ظفروا به من النصارى، وانقطعت المادّة عنهم لبعدهم عن بلادهم، فعادوا ونزلوا[2] بمرج الصُّفّر[3].

وأذِن الأمير مودود للعساكر في العَود والاستراحة، ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة، وبقي في خواصّه، ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الأوّل ليقيم عند طُغتِكين إلى الربيع. فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الأوّل، ليصلّي فيه وطُغَتِكين، فلمّا فرغوا من الصّلاة، وخرج إلى صحن الجامع، ويده في يد طُغتِكين، وثب[4] عليه باطنيّ فضربه فجرحه أربع جراحات وقُتل الباطنيُّ، وأُخذ رأسه، فلم يعرفه أحد، فأُحرق.

وكان صائماً، فَحُمل إلى دار طُغتكِين، واجتهد به ليفطر، فلم يفعل، وقال: لا لقيتُ الله إلاّ صائماً؛ فمات من يومه، رحمه الله، فقيل إنّ الباطنيّة بالشام خافوه وقتلوه، وقيل بل خافه طُغتكِين فوضع عليه من قتله.

وكان خيّراً، عادلاً، كثير الخير؛ حدّثني والدي قال: كتب ملك الفرنج إلى طُغتكِين، بعد قتل مودود، كتاباً من فصوله[5]: أنّ أمّة قتلت عميدها، يوم عيدها، في بيت معبودها، لَحَقيقٌ على الله أن يبيدها.

---

(١) في الأصل: «منعوه».

(٢) في الأوربية: «ونزل».

(٣) التاريخ الباهر ١٩، العبر ٤/ ١٢، تاريخ الإسلام ٢٧، ٢٨، الإعلام والتبيين ٢١.

(٤) في الأوربية: «فوثب».

(٥) في الأوربية: «فضوله».

ولمّا قُتل تسلّم تميرك، صاحب سنجار، ما معه من الخزائن والسلاح وحملها إلى السلطان، ودُفن مودود بدمشق في تربة دُقاق صاحبها، وحُمل بعد ذلك إلى بغداذ، فدُفن في جوار أبي حنيفة، ثم حُمل إلى أصبهان[(١)].

ذكر الخُلف بين السلطان سَنْجَر ومحمّد خان والصلح بينهما

في هذه السنة كثُر الحديث عند سَنجَر: أنّ محمّد خان بن سليمان بن داود قد مدّ يده إلى أموال الرعايا، وظلمهم ظلماً كثيراً، وأنّه خرّب البلاد بظلمه وشرّه، وأنّه قد صار يستخفّ[(٢)] بأوامر سنجَر، ولا يلتفت إلى شيء منها، فتجهّز سنجَر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر، فخاف محمّد خان، فأرسل إلى الأمير قماج، وهو أكبر أمير مع سنجر، يسأله أن يصلح الحال بينه وبين سنجَر، وأرسل أيضاً إلى خُوارزمشاه بمثل ذلك، وسألهما في إرضاء السلطان عنه، واعترف بأنّه أخطأ، فأجاب سنجَر إلى صلحه على شرط أن يحضر عنده ويطأ بساطه، فأرسل محمّد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه، ولكنّه يحضر الخدمة، ويخدم السلطان، وبينهما نهر جيحون، ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده، والدخول إليه، فحسّنوا الإجابة إلى ذلك، والاشتغال بغيره، فامتنع، ثم أجاب.

وكان سنجَر على شاطىء جيحون من الجانب الغربيّ، وجاء محمّد خان إلى الجانب الشرقيّ، فترجّل وقبّل الأرض وسنجَر راكب، وعاد كلّ واحد منهما إلى خيامه، ورجعوا إلى بلادهم، وسكنت الفتنة بينهما.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة سار قَفل عظيم من دمشق إلى مصر، فأتى الخبر إلى بغدوين ملك الفرنج، فسار إليه، وعارضه في البرّ، فأخذهم أجمعين، ولم ينجُ منهم إلاّ القليل، ومن سلم أخذه[(٣)] العرب[(٤)].

---

(١) انظر عن مقتل مودود ـ رحمه الله ـ في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٧ هـ.) ص ٢٨، ٢٩، وفيه حشدت المصادر. وانظر (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٩٤ رقم ٢٠٥.

(٢) في الأوربية: «استخف».

(٣) في الأوربية: «أخذ».

(٤) إلى هنا ينتهي النقل من نسخة (ب).

[الوفيات]

وفي هذه السنة توفّي الوزير أبو القاسم عليُّ بن محمّد بن جَهِير[1]، وزير الخليفة المستظهر بالله، ووَزَرَ بعده الربيب أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع محمّد بن الحسين وزير السلطان.

وفيها توفّي الملك رضوان[2] بن تاج الدّولة تُتُش بن ألب أرسلان، صاحب حلب، وقام بعده بحلب ابنه ألب أرسلان الأخرس، وعمره ستّ عشرة سنة، وكانت أمور رضوان غير محمودة: قتل أخويه أبا طالب وبهرام، وكان يستعين بالباطنيّة في كثير من أموره لقلّة دينه، ولمّا ملك الأخرس استولى على الأمور لؤلؤ الخادم، ولم يكن للأخرس معه إلاّ اسم السلطنة، ومعناه للؤلؤ، ولم يكن ألب أرسلان أخرس، وإنّما في لسانه حُبْسَة وتَمْتَمةٌ، وأُمّه بنت ياغي[3] سيان الذي كان صاحب أنطاكية، وقتل الأخرس أخوين له أحدهما اسمه ملكشاه، وهو من أبيه وأُمّه، واسم الآخر مباركشاه، وهو من أبيه، وكان أبوه فعل مثله، فلمّا تُوفّي قُتلَ ولَداه، مُكافأةً لما اعتمده مع أخويه.

وكان الباطنيّة قد كثروا بحلب في أيّامه، حتّى خافهم ابن بديع رئيسها، وأعيان أهلها، فلمّا توفّي قال ابن بديع لألب أرسلان في قتلهم والإيقاع بهم، فأمره بذلك، فقبض على مقدّمهم أبي طاهر الصائغ، وعلى جميع أصحابه، فقتل أبا طاهر وجماعة من أعيانهم، وأخذ أموال الباقين وأطلقهم، فمنهم من قصد الفرنج، وتفرّقوا في البلاد.

وفي هذه السنة توفّي ببغداذ أبو بكر أحمد بن عليّ بن بدران الحلوانيُّ[4] الزاهد، منتصف جمادى الأولى، روى الحديث عن القاضي أبي الطيّب الطبريّ، وأبي محمّد الجوهريّ، وأبي طالب العُشاريّ وغيرهم، وروى عنه خلق كثير، ومن آخرهم أبو الفضل عبد الله بن الطوسيّ، خطيب الموصل.

وإسماعيل بن أحمد بن الحسين بن عليّ أبو علي بن أبي بكر البيهقيُّ[5]، الإمام

---

(١) انظر عن وفاة ابن جهير في: تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٧ هـ.) ص ٢٩، وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (الملك رضوان) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٥٨ رقم ١٨٠، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) في طبعة صادر ١٠/ ٤٩٩ «باغي»، والتصحيح من الأصل والمصادر.

(٤) انظر عن (الحلواني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٥٤ رقم ١٧٠ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) انظر عن (البيهقي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٥٦، ١٥٧ رقم ١٧٦، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ابن الإمام، ومولده سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وتوفّي بمدينة بَيهَق، ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة.

وشجاع[1] بن أبي شجاع فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهليُّ الحافظ، ومولده سنة ثلاثين وأربعمائة، وروى عن أبيه، وأبي القاسم، وابن المهتدي والجوهريّ وغيرهم.

والأديب أبو المظفّر محمّد بن أحمّد الأبيورديُّ[2] الشاعر المشهور، وله ديوان حَسَن، ومن شِعره:

تَـنَـكَّـرَ لـي دَهْـرِي ولـم يَـدْرِ أنّـنـي ... أعِـزُّ وأحـداثُ الـزَّمـانِ تَـهـونُ
وظَـلَّ يُـرِيـنـي الخَـطْـبَ كـيـفَ اعـتـداؤهُ ... وبـتُّ أُريـهِ الـصَّـبْـرَ كـيـفَ يـكـونُ[3]

وله أيضاً:

ركـبـتُ طَـرْفـي فـأذرَى دمْـعَـه أسَـفـاً ... عـنـدَ انـصـرافـيَ مِـنـهـم مُـضْـمِـرَ اليـاسِ
وقـال: حـتّـامَ تُـؤذيـنـي فـإن سَـنَـحَـتْ[4] ... حـوائـجٌ لـك فـاركَـبْـنـي إلـى الـنـاسِ[5]

وكانت وفاته بأصبهان، وهو من ولد عَنْبَسة بن أبي سفيان بن حرب الأمويّ.

وتوفّي أبو بكر محمّد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشيُّ[6]، الإمام الفقيه الشافعيُّ، في شوّال، مولده سنة سبع وعشرين وأربعمائة، سمع أبا بكر الخطيب، وأبا يَعْلَى بن الفرّاء، وغيرهما[7]، وتفقّه على أبي عبد الله محمّد بن الكازرونيّ بديار بكر، وعلى أبي إسحاق الشيرازيّ ببغداذ، وعلى أبي نصر بن الصباغ.

---

(١) انظر عن (شجاع) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧هـ.) ص ١٦٠، ١٦١ رقم ١٨٢، وفيه مصادر ترجمته.

(٢) انظر عن (الأبيوردي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٨٢ ـ ١٨٧ رقم ١٩٦، وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٣) البيتان في ديوانه ٢/ ٥٥، والمنتظم ٩/ ١٧٦ (١٧/ ١٣٥)، ومعجم الأدباء ١٧/ ٢٤٦، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٣٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٤٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٨٧، وتاريخ الإسلام ١٨٦، وطبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٨٣، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٩، والوافي بالوفيات ٢/ ٩٢، والبداية والنهاية ١٢/ ١٧٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٠٧.

(٤) في الأوربية: «سبخت».

(٥) البيتان في المنتظم ٩/ ١٧٧ (١٧/ ١٣٦).

(٦) انظر عن (الشاشي) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٦٥ ـ ١٦٧ رقم ١٩٢، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٧) في الأوربية: (وغيرهم».

وفيها توفّي أبو نصر المؤتمن[1] بن أحمد بن الحسن الساجيُّ، الحافظ المقدسيُّ، ومولده سنة خمس وأربعين وأربعمائة، وكان مكثراً من الحديث، وتفقّه على أبي إسحاق، وكان ثقة.

(١) انظر عن (المؤتمن) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٧ هـ.) ص ١٩١ ـ ١٩٤ رقم ٢٠٤، وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٥٠٨
ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة

ذكر مسير آقسنقر البُرسقيّ إلى الشام لحرب الفرنج

في هذه السنة سيّر السلطان محمّد الأمير آقسنقر البُرْسُقيَّ إلى الموصِل وأعمالها، والياً عليها، لمّا بلغه قتل مودود، وسيّر معه ولده الملك مسعوداً في جيش كثيف، أمره بقتال الفرنج، وكتب إلى سائر الأمراء بطاعته، فوصل إلى الموصل، واتّصلت به عساكرها، وفيهم عماد الدين زنكي بن آقسنقر، الذي ملك هو وأولاده الموصِل بعد ذلك، وكان له الشجاعة في الغاية.

واتّصل به أيضاً تميرك صاحب سِنجار وغيرهما، فسار البرسقيُّ إلى جزيرة ابن عُمَر، فسلّمها إليه نائب مودود بها، وسار معه إلى ماردِين، فنازلها البُرْسُقيُّ، حتّى أذعن له إيلغازي صاحبها، وسيّر معه عسكراً مع ولده إياز، فسار عنه البُرْسُقيُّ إلى الرُّها في خمسة عشر ألف فارس، فنازلها في ذي الحجّة، وقاتلها، وصبر له الفرنج، وأصابوا من بعض المسلمين غِرّة، فأخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها، فاشتدّ القتال حينئذٍ، وحَمِيَ المسلمون، وقاتلوا، فقتلوا من الفرنج خمسين فارساً من أعيانهم، وأقام عليها شهرَيْن وأيّاماً.

وضاقت الميرة على المسلمين، فرحلوا من الرُّها إلى سُمَيْساط، بعد أن خرّبوا بلد الرُّها وبلد سَروج وبلد سُمَيْساط، وأطاعه صاحب مَرْعَش على ما نذكره، ثم عاد إلى شحنان، فقبض على إياز بن إيلغازي، حيث لم يحضر أبوه، ونهب سواد ماردين[1].

---

(١) الأعلاق الخطيرة ج ٣ ق ١/ ٥٣، دول الإسلام ٢/ ٣٦، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٨ هـ.) ص ٣١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢، الإعلام والتبيين ٢٣ وفيه: «البرشقي» بالشين المعجمة.

ولمّا بلغ طُغتِكين الخبر عاد إلى حمص، وأرسل في إطلاقه، فامتنع قرجان، وحلف: إن لم يعُدْ طُغتِكين لنقتلنّ إيلغازي؛ فأرسل إيلغازي إلى طُغتِكين: إنّ الملاجّة[1] تؤذيني، وتَسفك دمي، والمصلحة عودك إلى دمشق. فعاد.

وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانيّة، فتأخّرت عنه، فخاف أن ينخدع أصحابه لطُغتِكين، ويسلّموا إليه حمص، فعدل إلى الصُّلح مع إيلغازي على أن يطلقه، ويأخذ ابنه إياز رهينة، ويصاهره، ويمنعه من طُغتِكين وغيره، فأجابه إلى ذلك، فأطلقه، وتحالفا، وسلّم إليه ابنه إياز، وسار عن حمص إلى حلب، وجمع التركمان، وعاد إلى حمص، وطالب بولده إياز، وحصر قرجان إلى أن وصلت العساكر السلطانيّة، فعاد إيلغازي على ما نذكره[2].

ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر

في هذه السنة، في شوّال، توفّي الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبي المظفّر إبراهيم بن أبي سعد مسعود بن محمود بن سُبُكتِكين، صاحب غزنة، بها، وملك بعده ابنه أرسلانشاه، وأُمّه سلجوقيّة، وهي أُخت السلطان ألب أرسلان بن داود، فقبض على إخوته وسجنهم، وهرب أخ له اسمه بهرام إلى خُراسان، فوصل إلى السلطان سنجَر بن ملكشاه، فأرسل إلى أرسلانشاه في معناه، فلم يسمع منه، ولا أصغى إلى قوله، فتجهّز سنجَر للمسير إلى غَزنة، وإقامة بهرامشاه في الملك.

فأرسل أرسلانشاه إلى السلطان محمّد يشكو من أخيه سنجَر، فأرسل السلطان إلى أخيه سنجَر يأمره بمصالحة أرسلانشاه، وتَرْك التعرّض له، وقال للرسول: إن رأيتَ أخي وقد قصدهم، وسار نحوهم، أو قارب أن يسير، فلا تمنعه، ولا تبلّغه الرسالةَ، فإنّ ذلك يفتّ في عضده ويوهنه[3]، ولا يعود، ولأنْ يملك أخي الدنيا أحبّ إليّ. فوصل الرسول إلى سنجَر، وقد جهّز العساكر إلى غَزنة، وجعل على مقدّمته الأمير أُنَر، متقدّم عسكره، ومعه الملك بهرامشاه، فساروا حتّى بلغوا بُسْت، واتّصل بهم فيها أبو الفضل نصر بن خَلَف، صاحب سِجِسْتان.

---

(١) في الأوربية: «الملاجحة».

(٢) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٧، دول الإسلام ٢/ ٣٦، تاريخ الإسلام ٣١، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢.

(٣) في نسخة بودليان، والباريسية، و (أ): «ويورهنه».

ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البُرسقيّ

في هذه السنة توفّي بعض كنود الفرنج، ويُعرف بكواسيل، وهو صاحب مَرْعَش، وكَيسوم، ورَعْبَانَ وغيرها، فاستولت زوجته على المملكة، وتحصّنتْ من الفرنج، وأحسنتْ إلى الأجناد، وراسلت آقسنقَر البرسُقيَّ، وهو على الرُّها، واستدعت منه بعض أصحابه لتطيعه[1]، فسيّر إليها الأمير سُنقر دزدار، صاحب الخابور، فلمّا وصل إليها أكرمتْه، وحملتْ إليه مالاً كثيراً.

وبينما هو عندها إذ جاء جمع من الفرنج، فواقعوا أصحابه، وهم نحو مائة فارس، واقتتلوا قتالاً شديداً ظفر فيه المسلمون بالفرنج، وقتلوا منهم أكثرهم، وعاد سُنقر دزدار، وقد أصحبتْه الهدايا للملك مسعود والبرسقيّ، وأذعنت بالطاعة، ولمّا عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممّن عندها إلى أنطاكية.

ذكر الحرب بين البُرسقيّ وإيلغازي وأسْر إيلغازي

لمّا قبض البرسقيُّ على إياز بن إيلغازي سار إلى حصن كيفا، وصاحبها الأمير ركن الدولة داود ابن أخيه سُقمان، فاستنجده، فسار معه في عسكره وأحضر خلقاً كثيراً من التركمان، وسارا إلى البرسقيّ، فلقيه، أواخر السنة، واقتتلوا قتالاً شديداً صبروا فيه، فانهزم البرسقيُّ وعسكره، وخلص إياز بن إيلغازي من الأسر، فأرسل السلطان إليه يتهدّده، فخافه، وسار إلى الشام إلى حميّه[2] طُغتِكين، صاحب دمشق، فأقام عنده أيّاماً.

وكان طُغتِكين أيضاً قد استوحش من السلطان لأنّه نسب إليه قتل مودود، فاتفقا على الامتناع، والالتجاء إلى الفرنج، والاحتماء بهم، فراسلا صاحب أنطاكية، وحالفاه، فحضر عندهما على بُحَيْرة قَدَس، عندَ حِمص، وجدّدوا العهود، وعاد إلى أنطاكية، وعاد طُغتِكين إلى دمشق، وسار إيلغازي إلى الرسْتَن على عزم قصد ديار بكر، وجمْع التركمان والعود، فنزل بالرَّسْتَن ليستريح، فقصده الأمير قُرجان بن قراجة، صاحب حمص، وقد تفرّق عن إيلغازي أصحابه، فظفر به قرجان وأسره ومعه جماعة من خواصّه، وأرسل إلى السلطان يعرّفه ذلك، ويسأله تعجيل إنفاذ العساكر لئلاّ يغلبه طُغتِكين على إيلغازي.

---

(١) في الأوربية: «لتعطيه».

(٢) في الأوربية: «حمية».

وسمع أرسلانشاه الخبر، فسيّر جيشاً كثيفاً، فهزماه، ونهباه، وعاد من سلم إلى غَزنة على أسْوإ حال، فخضع حينئذٍ أرسلانشاه وأرسل إلى الأمير أُنَر يضمن له الأموال الكثيرة ليعود عنه، ويحسّن للملك سنجَر العود عنه، فلم يفعل.

وتجهّز السلطان سنجَر، بعد أُنَر، للمسير بنفسه، فأرسل إليه أرسلانشاه امرأة عمّه نصر تسأله الصفح والعود عن قصده، وهي أخت الملك سنجَر من السلطان بركْيارُق، وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها، ومنعها من الخروج عن غَزنة وتزوّجها، فسيّرها الآن أرسلانشاه، فلمّا وصلتْ (إلى أخيه أوصلتْ)[1] ما معها من الأموال والهدايا، وكان معها مائتا ألف دينار، وغير ذلك؛ وطلب من سنجَر أن يسلّم أخاه بهرام إليه.

وكانت موغرة الصدر من أرسلانشاه، فهوّنت أمره على سنجر، وأطمعته في البلاد، وسهّلت الأمر عليه، وذكرت له ما فعل بإخوته، وكان قتل بعضاً وكحل بعضاً من غير خروج منهم عن الطاعة. فسار الملك سنجَر، فلمّا وصل إلى بُست أرسل خادماً من خواصّه إلى أرسلانشاه في رسالة، فقبض عليه في بعض القلاع، فسار حينئذ سنجَر مجدّاً، فلمّا سمع بقربه منه أطلق الرسول، ووصل سنجَر إلى غَزنة، ووقع بينهما المصافّ على فرسخ من غزنة، بصحراء شهراباذ، وكان أرسلانشاه في ثلاثين ألف فارس، وخلق كثير من الرَّجّالة، ومعه مائة وعشرون فيلاً، على كلّ فيل أربعة نفر، فحملت الفيَلة على القلب، وفيه سنجَر، فكان من فيه ينهزمون، فقال سنجَر لغلمانه الأتراك ليرموها بالنشّاب، فتقدّم ثلاثة آلاف غلام، فرموا الفيَلة رشقاً واحداً جميعاً، فقتلوا منها عدّة، فعدلت الفيَلة عن القلب إلى الميسرة، وبها أبو الفضل صاحب سِجِستان، وجالت عليهم، فضعف من في الميسرة، فشجّعهم أبو الفضل، وخوّفهم من الهزيمة مع بُعد ديارهم، وترجّل عن فرسه بنفسه، وقصد كبيرَ الفيَلة ومتقدّمها، ودخل تحتها فشقّ بطنها، وقتل فيلَيْن آخرين.

ورأى الأمير أُنَر، وهو في الميمنة، ما في الميسرة من الحرب، فخاف عليها، فحمل من وراء عسكر غزنة، وقصد الميسرة، واختلط بهم، وأعانهم، فكانت الهزيمة على الغزنويّة، وكان ركّاب الفيَلة قد شدّوا أنفسهم عليها بالسلاسل، فلمّا عضّتهم الحرب، وعمل فيهم السيف، ألقوا أنفسهم، فبقوا معلّقين عليها.

---

(١) في الباريسية و (أ): «اليه»، والمثبت من نسخة بودليان.

ودخل السلطان سنجَر غزنة في العشرين من شوّال سنة عشرٍ وخمسمائة، ومعه بهرامشاه. فأمّا القلعة الكبيرة المشتملة على الأموال، وبينها وبين البلد تسعة فراسخ، وهي عظيمة، فلا[1] مطمع فيها، ولا طريق عليها.

وكان أرسلانشاه قد سجن فيها أخاه طاهراً[2] الخازن، وهو صاحب بهرامشاه، واعتقل بها أيضاً زوجة بهرامشاه، فلمّا انهزم أرسلانشاه استمال أخوه طاهر المستحفظَ بها، فبذل له وللأجناد الزيادات، فسلّموا القلعة إلى الملك سنجَر.

وأمّا قلعة البلد فإنّ أرسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجَر، فلمّا أطلقه بقي غلمانه بها، فسلّموا القلعة أيضاً بغير قتال.

وكان قد تقرّر بين بهرامشاه وبين سنجَر أن يجلس بهرام على سرير جدّه محمود بن سبكتكين وحده، وأن تكون[3] الخطبة بغزنة للخليفة، وللسلطان محمّد، وللملك سنجَر، وبعدهم لبهرامشاه. فلمّا دخلوا غَزنة كان سنجَر راكباً، وبهرامشاه بين يدَيْه راجلاً، حتّى جاء السرير، فصعد بهرامشاه فجلس عليه، ورجع سنجَر، وكان يخطب له بالملك، ولبهرامشاه بالسلطان، على عادة آبائه، فكان هذا من أعجب ما يُسمع به.

وحصل لأصحاب سنجَر من الأموال ما لا يُحدّ ولا يُحصى من السلطان والرعايا، وكان في دور لملوكها عدّة دور على حيطانها ألواح الفضّة، وسواقي المياه إلى البساتين من الفضّة أيضاً، فقُلع من ذلك أكثره، ونُهب، فلمّا سمع سنجَر ما يفعل منع عنده بجهده، وصلب جماعة حتّى كفّ الناس.

وفي جملة ما حصل للملك سنجَر خمسة تِيجان قِيمة أحدها تزيد[4] على ألفَيْ ألف دينار، وألف وثلاثمائة قطعة مصاغة مرصّعة، وسبعة عشر سريراً من الذهب والفضّة، وأقام بغزنة أربعين يوماً، حتى استقرّ بهرامشاه، وعاد نحو خراسان، ولم يُخطب بغَزْنة لسلجوقيّ قبل هذا الوقت، حتّى إنّ السلطان ملكشاه مع تمكّنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه، وكان كلّما رام ذلك منع منه نظام الملك.

وأمّا أرسلانشاه فإنّه لمّا انهزم قصد هِندوستان واجتمع عليه أصحابه، فقويت

---

(١) في الأوربية: «لا».

(٢) في الأوربية: «طاهر».

(٣) في الأوربية: «يكون».

(٤) في الأوربية: «يزيد».

شوكته، فلمّا عاد سنجَر إلى خُراسان توجّه إلى غَزنة، فلمّا عرف بهرامشاه قَصْدَهُ إيّاه توجّه إلى بامِيان، وأرسل إلى الملك سنجَر يعلمه الحال، فأرسل إليه عسكراً.

وأقام أرسلانشاه بغَزنة شهراً واحداً، وسار يطلب أخاه بهرامشاه، فبلغه وصول عسكر سنجَر، فانهزم بغير قتال للخوف الذي قد باشر قلوب أصحابه، ولحق بجبال أوغنان، فسار أخوه بهرامشاه وعسكر سنجَر في أثره، وخربوا البلاد التي هو فيها، وأرسلوا إلى أهلها يتهدّدونهم، فسلّموه بعد المضايقة، فأخذه متقدّم جيش الملك سنجر، وأراد حمله إلى صاحبه، فخاف بهرامشاه من ذلك، فبذل له مالاً، فسلّمه إليه، فخنقه ودفنه بتربة أبيه بغَزنة، وكان عمره سبعاً[1] وعشرين سنة، وكان أحسن إخوته صورةً، وكان قتْله في جُمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، وإنّما ذكرناه هاهنا لتتّصل الحادثة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في جُمادى الآخرة، كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة، والشام، وغيرها، فخربت كثيراً من الرُّها، وحَرّانَ، وسُمَيْسَاط، وبالِس وغيرها، وهلك خلق كثير تحت الهدم[2].

وفيها قُتل تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان، صاحب حلب، قتله غلمانه بقلعة حلب، وأقاموا بعده أخاه سلطان شاه بن رضوان، وكان المستولي عليه لؤلؤ الخادم[3].

[الوفيات]

وفيها توفّي الشريف النسيب أبو القاسم عليُّ بن إبراهيم بن العبّاس الحسينيّ[4]، في ربيع الآخر، بدمشق.

---

(١) في الأوربية: «سبع».

(٢) تاريخ حلب ٣٦٦، ٣٦٧ (٣٢)، المنتظم ٩/ ١٨٠، ١٨١ (١٧/ ١٤٠)، ذيل تاريخ دمشق ١٩١، تاريخ الزمان ١٣٦، زبدة الحلب ٢/ ١٧٣، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٥٢، الدرّة المضية ٤٧٧، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٨ هـ.) ص ٣٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٨، عيون التواريخ ١٢/ ٤٤، كشف الصلصلة ١٨٢، شذرات الذهب ٤/ ٢١ و ٢٣.

(٣) تاريخ حلب ٣٦٦ (٣٢)، ذيل تاريخ دمشق ١٩١ زبدة الحلب ٢/ ١٧١، ١٧٢، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٦، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٢٨، تاريخ الإسلام ٣٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٨، مآثر الإنافة ٢/ ٢٠. وانظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٨ هـ.) ص ٢٠٢ رقم ٢٢١، وفيه مصادر أخرى.

(٤) انظر عن (الحسيني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٨ هـ.) ص ٢٠٩ رقم ٢٣٧، وفيه مصادر ترجمته.

٥٠٩
ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة

ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج

قد ذكرنا ما كان من عصيان إيلغازي وطُغتِكين على السلطان، وقوّة الفرنج، فلمّا اتّصل ذلك بالسلطان محمّد جهّز عسكراً كثيراً، وجعل مقدّمهم الأمير بُرسق بن بُرسُق، صاحب همذان، ومعه الأمير جيوش بك والأمير كيدغدي[١]، وعساكر الموصل والجزيرة، وأمرهم بالبداية بقتال إيلغازي وطُغتِكين، فإذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج، وقاتلوهم، وحصروا بلادهم.

فساروا في رمضان من سنة ثمانٍ وخمسمائة، وكان عسكراً كثير العدّة، وعبروا الفرات، آخر السنة، عند الرَّقّة، فلمّا قاربوا حلب راسلوا المتولّي لأمرها لؤلؤاً[٢] الخادم، ومقدّم عسكرها المعروف بشمس الخواصّ، يأمرونهما بتسليم حلب، وعرضوا عليهما كُتُب السلطان بذلك، فغالطا[٣] في الجواب، وأرسلا إلى إيلغازي وطُغتكين يستنجدانهما، فسارا إليهم في ألفَيْ فارس، ودخلا حلب، فامتنع من بها حينئذٍ عن عسكر السلطان، وأظهروا العصيان. فسار الأمير برْسُق بن بُرْسُق إلى مدينة حماة، وهي في طاعة طُغتِكين، وبها ثَقَله، فحصرها، وفتحها عَنوةً ونهبها ثلاثة أيّام، وسلّمها إلى الأمير قرجان، صاحب حِمص.

وكان السلطان قد أمر أن يسلّم إليه كلّ بلد يفتحونه[٤]، فلمّا رأى الأمراء ذلك فشلوا وضعُفت نيّاتهم في القتال، بحيث تؤخذ البلاد وتُسلّم إلى قرجان، فلمّا سلّموا

---

(١) في طبعة صادر ١٠/٥٠٩: «كنتغدي»، وفي الباريسية: «كسفدي»، والمثبت من نسخة بودليان.

(٢) في الأوربية: «لؤلؤ».

(٣) في الأوربية: «فغالظا».

(٤) في الأوربية: «تفتحونه».

حماة إلى قرجان سلّم إليهم إياز بن إيلغازي، وكان قد سار إيلغازي، وطُغتِكين، وشمس الخواصّ، إلى أنطاكية واستجاروا بصاحبها رُوجيل[1]، وسألوه أن يُساعدهم على حفظ مدينة حماة (ولم يكن بلغهم)[2] فتحها.

ووصل إليهم بأنطاكية بغدوين، صاحب القدس، وصاحب طرابلس، وغيرهما من شياطين الفرنج، واتّفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين، وقالوا إنّهم عند هجوم الشتاء يتفرّقون، واجتمعوا بقلعة أفامِيَة، وأقاموا نحو شهرَيْن، فلمّا انتصف أيلول، ورأوا عزم المسلمين على المقام، تفرّقوا، فعاد إيلغازي إلى ماردِين، وطُغتِكين إلى دِمَشق، والفرنج إلى بلادها.

وكانت أفامِيَة وكَفَرْطاب للفرنج، فقصد المسلمون كَفَرْطاب وحصروها، فلمّا اشتدّ الحصر على الفرنج، ورأوا الهلاك، قتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا أموالهم، ودخل المسلمون البلد عَنوةً وقهراً، وأسروا صاحبه، وقتلوا من بقي فيه من الفرنج، وساروا إلى قلعة أفامية، فرأوها حصينة، فعادوا عنها إلى المَعَرة، وهي للفرنج أيضاً، وفارقهم الأمير جيوش بك إلى وادي بُزَاعة فملكه.

وسارت العساكر عن المَعَرَّة إلى حلب، وتقدّمهم ثَقَلهم ودوابّهم، على جاري العادة، والعساكر في أثره متلاحقة، وهم آمنون لا يظنّون أحداً يقدم على القرب منهم.

وكان روجيل[1]، صاحب أنطاكية، لمّا بلغه حصر كفَرْطاب، سار في خمسمائة فارس وألفَيْ راجل للمنع، فوصل إلى المكان الذي ضُربت فيه خيام المسلمين، على غير علم بها، فرآها خالية من الرجال المقاتلة، لأنّهم لم يصلوا إليها، فنهب جميع ما هناك، وقتل كثيراً من السوقيّة، وغلمان العسكر، ووصلت العساكر متفرّقة، فكان الفرنج يقتلون كلّ من وصل إليهم.

ووصل الأمير بُرسق في نحو مائة فارس، فرأى الحال، فصعد تلاً هناك، ومعه أخوه زنكي، وأحاط بهم من السوقيّة والغلمان، واحتموا بهم، ومنعوا الأمير بُرسق من النزول، فأشار عليه أخوه ومَن معه بالنزول والنجاة بنفسه، فقال: لا أفعل، بل أُقتل في سبيل الله، وأكون فداء المسلمين؛ فغلبوه على رأيه، فنجا هو ومن معه، فتبعهم الفرنج نحو فرسخ، ثم عادوا وتمّموا الغنيمة والقتل، وأحرقوا كثيراً من الناس. وتفرّق العسكر، وأخذ كلّ واحد جهةً.

---

(١) في الباريسية: «روحيل».

(٢) في الأوربية: «فلا بلغهم».

ولمّا سمع الموكّلون بالأسرى المأخوذين من كفَرْطاب ذلك قتلوهم، وكذلك فعل الموكّل بإياز بن إيلغازي قتله أيضاً، وخاف أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التي بالشام، فإنّهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر، فأتاهم ما لم يكن في الحساب، وعادت العساكر عنهم[١] إلى بلادها[٢].

وأمّا بُرسق وأخوه زنكي فإنهما توفّيا في سنة عشرٍ وخمسمائة، وكان بُرسق خيّراً، ديّناً، وقد ندم على الهزيمة، وهو يتجهّز للعود إلى الغزاة، فأتاه أَجَله[٣].

ذكر ملك الفرنج رَفَنيّة وأخذها منهم

في هذه السنة، في جُمادى الآخرة، ملك الفرنج رَفَنِيّةَ من أرض الشام، وهي لطُغتِكين، صاحب دمشق، وقوّوها بالرجال والذخائر، وبالغوا في تحصينها، فاهتمّ طُغتِكين لذلك، وقوي عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب، فأتاه الخبر عن رَفَنِيّة بخلوّها من[٤] عسكرٍ يمنع عنها، وليس هناك إلاّ الفرنج الذين رُتّبوا لحفظها، فسار إليها جريدةً، فلم يشعر من بها إلاّ وقد هجم عليهم البلد فدخله عَنوةً وقهراً، وأخذ كلّ من فيه من الفرنج أسيراً، فقتل البعض، وترك البعض، وغنم المسلمون من سوادهم، وكُراعهم، وذخائرهم ما امتلأت منه أيديهم، وعادوا إلى بلادهم سالمين[٥].

ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه عليّ

في هذه السنة توفّي يحيى بن تميم المعزّ بن باديس، صاحب إفريقية، يوم عيد الأضحى، فجأةً، وكان منجّم قد قال له في مُنَسْتِير مولده إنّ عليه قطعاً في هذا اليوم، فلا يَرْكَبْ[٦]، فلم يركب، وخرج أولاده وأهل دولته إلى المصلّى، فلمّا انقضت الصلاة

---

(١) في الأوربية: «منهم».

(٢) الإعتبار لأسامة ٩٠ ـ ٩٢، تاريخ حلب ٣٦٧ (٣٢)، زبدة الحلب ٢/ ١٧٤ ـ ١٧٦، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٨، ٢٢٩، دول الإسلام ٢/٣٧، العبر ١٨/٤، تاريخ الإسلام (حوادث ٥٠٩ هـ.) ص ٣٤، ٣٥، تاريخ ابن الوردي ٢/٢٣، مرآة الجنان ٣/١٩٨، البداية والنهاية ١٢/١٧٩، عيون التواريخ ١٢/٥٠.

(٣) تاريخ حلب ٣٦٧ (٣٢)، تاريخ الإسلام ٣٥.

(٤) في الأوربية: «لخلوّها عن».

(٥) زبدة الحلب ٢/١٧٧، مرآة الزمان ج ٨ ق ٥٦/١، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٩، تاريخ الإسلام ٣٥، ذيل تاريخ دمشق ١٩٢، تاريخ ابن الوردي ٢/٢٣، تاريخ طرابلس ٤٨٩/١.

(٦) في الأوربية: «تركب».

حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته، وقرأ القراء، وأنشد الشعراء، وانصرفوا إلى الطعام، فقام يحيى من بابٍ آخر ليحضر معهم على الطعام، فلم يمش غير ثلاث خُطا حتّى وقع ميّتاً، وكان ولده عليّ بمدينة سَفَاقُس، فأُحضر وعُقدت له الولاية، ودُفن يحيى بالقصر، ثم نُقل إلى التربة بمُنَسْتِيرَ، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوماً، وكانت ولايته ثماني سنين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً، وخلّف ثلاثين ولداً، فقال عبد الجبّار بن محمّد بن حَمدِيس الصِّقلِيُّ يَرثيه ويهنّىء ابنه عليّاً بالملك:

ما أُغْمِدَ العَضْبُ إلاّ جُرِّدَ الذَّكَرُ ... ولا اختفَى قَمَرٌ حتّى بدَا قَمَرُ
بموتِ يَحْيَى أُميتَ الناسُ كلّهُمُ ... حتّى إذا ما عليٌّ جاءهُمْ نُشِرُوا
إن يُبْعَثُوا بسُرورٍ من تملّكِهِ ... فَمِنْ مَنِيّةِ يحيى بالأسى قُبِرُوا
أوفَى عليٌّ فسِنُّ المُلكِ ضاحِكةٌ ... وعينُها من أبيهِ دمعُها هَمِرُ
شُقّتْ جُيوبُ المَعالي بالأسى فبكَتْ ... في كلّ أُفقٍ عليه الأنجُمُ الزُّهُرُ
وقَلَّ لابن تميم حُزنُ[1] ما دهما[2] ... فكلُّ حُزنٍ عظيم فيهِ مُحْتَقَرُ
قامَ الدليلُ ويَحيى لا حياةَ له ... إنّ المنيّةَ لا تُبْقي ولا تَذَرُ

وكان يحيى عادلاً في رعيّته، ضابطاً لأمور دولته، مدبّراً لجميع أحواله، رحيماً بالضعفاء والفقراء، يُكثر الصدقة عليهم، ويقرّب أهل العلم والفضل، وكان عالماً بالأخبار، وأيّام الناس، والطبّ، وكان حسن الوجه، أشهل العين، إلى الطول ما هو[3].

ولمّا استقرّ عليّ في الملك جهّز أسطولاً إلى جزيرة جَرْبَةَ؛ وسببه أنّ أهلها كانوا[4] يقطعون الطّريق، ويأخذون التجار، فحصرها، وضيّق على من فيها فدخلوا تحت [طاعته]، والتزموا ترك الفساد، وضمنوا إصلاح الطريق، وكفّ عنهم عند ذلك، وصلح أمر البحر، وأمِن المسافرون.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في رجب، قدِم السلطان محمّد بغداذَ، ووصل إليه أتابَك

---

(١) في المكتبة العربية الصقلّية لأماري، ص ٢٨٠ «حزّنَ» بتشديد الزاي وفتح النون.
(٢) في الأوربية: «بهما»، وفي المكتبة العربية: «بها».
(٣) انظر عن (يحيى بن تميم) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٩ هـ.) ص ٢٣٨، ٢٣٩ رقم ٢٨٣، وفيه مصادر ترجمته.
(٤) في الأوربية: «كان».

طُغتِكين، صاحب دمشق، في ذي القعدة، وسأل الرضا عنه، فرضي عنه السلطان، وخلع عليه، وردّه إلى دمشق[1].

وفيها أمر الإمام المستظهر بالله ببيع البَدريّة، وهي مَنسوبة إلى بدر غلام المعتضد بالله، وكانت من أحسن دُور الخلفاء، وكان ينزلها الراضي بالله، ثم تهدّمت وصارت تلاً، فأمر القادر بالله أن يسوَّر عليها سور، لأنّها مع الدار الإماميّة، ففُعِل ذلك، فلمّا كان الآن أمر ببيعها، فبيعت، وعمّرها الناس.

وفيها، في شعبان، وقعت الفتنة بين العامّة، وسببها أنّ الناس لمّا عادوا من زيارة مُصعب اختصموا على من يدخل أوّلاً، فاقتتلوا، وقُتل بينهم جماعة، وعادت الفِتَن بين أهل المحالّ كما كانت، ثم سكنت.

وفيها أقطع السلطان محمّد الموصِل وما كان بيد آقسنقَر البرسقيّ (للأمير جيوش بك، وسيّر ولده الملك مسعوداً، وأقام البرسقيُّ)[2] بالرَّحبة، وهي إقطاعه، إلى أن توفّي السلطان محمّد، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالىٰ.

[الوفيات]

وفيها توفّي إسماعيل بن محمّد بن أحمد بن ملّة[3] الأصبهانيُّ، أبو عثمان بن أبي سعيد الواعظ، سمع الكثير، وحدّث ببغداذ وغيرها.

وهبة[4] الله بن المبارك بن موسى السَّقَطيُّ، أبو البركات، له رحلة، وله تصانيف، وكان أديباً.

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٩، دول الإسلام ٢/٣٧، تاريخ الإسلام ٣٥، البداية والنهاية ١٢/١٧٩.

(٢) من نسخة بودليان.

(٣) انظر عن (ابن مَلّة) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٩ هـ.) ص ٢١٦، ٢١٧ رقم ٢٥١.

(٤) في طبعة صادر ١٠/٥١٥ «عبد الله»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (وفيات ٥٠٩ هـ.) ص ٢٣٥، ٢٣٦ رقم ٢٨٠.

٥١٠
ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة

ذكر قتل أحمدَّيل بن وهسوذان

في هذه السنة، أوّل المحرّم، حضر أتابك طُغتِكين، صاحب دمشق، دار السلطان محمّد ببغداذ، وحضر جماعة الأمراء، ومعهم أحمدَّيل بن إبراهيم بن وهسوذان الروادي، الكرديُّ، صاحب مَراغة وغيرها من أَذَرْبِيجان، وهو جالس إلى جانب طُغتِكين، فأتاه رجل متظلّم، وبيده رقعة، وهو يبكي، ويسأله أن يوصلها إلى السلطان، فأخذها من يده، فضربه الرجل بسكّين، فجذبه أحمدَّيل وتركه تحته، فوثب رفيق للباطنيّ وضرب أحمدَّيل سِكّيناً أخرى، فأخذتهما السيوف، وأقبل رفيق لهما وضرب أحمدّيل ضربة أخرى، فعجب الناس من إقدامه بعد قتل صاحبَيْه، وظنّ طُغتِكين والحاضرون[1] أنّ طُغتِكين كان المقصود بالقتل، وأنّه بأمر السلطان، فلمّا علموا أنّهم باطنيّة زال هذا الوهم[2].

ذكر وفاة جاولي سقاوو وحال بلاد فارس معه

في هذه السنة توفّي جاولي سقاوو، وكان السلطان ببغداذ عازماً على المقام بها، فاضطرّ إلى المسير إلى أصبهان ليكون قريباً من فارس، لئلاّ تختلف عليه، وقد ذكرنا حال جاولي بالموصل إلى أن مُلكتْ منه وأخذها السلطان، فلمّا قصد السلطانَ ورضي عنه أقطعه بلاد فارس، فسار جاولي إليها، ومعه ولد السلطان جغري، وهو طفل له من العمر سنتان، وأمره بإصلاحها، وقَمْع المفسدين بها، فسار إليها، فأوّل ما اعتمده فيها

---

(١) في الأوربية: «والحاضرين».

(٢) المنتظم ٩/ ١٨٥، رقم ٣١٣ (١٧/ ١٤٧ رقم ٣٨٣٥)، وفي الطبعتين: «أحمد بك»، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٦٠، ١٦١، الدرّة المضيّة ٤٧٩، تاريخ الإسلام ٣٧، عيون التواريخ ١٢/ ٦٤.

أنه لم[١] يتوسّط بلاد الأمير بلدجي، وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه، ومن جملة بلاده كَليل وسرماه[٢]، وكان متمكّناً بتلك البلاد.

وراسله جاولي ليحضر خدمة جغري، ولد السلطان، وعلّم جغري أن يقول بالفارسيّة[٣] خذوه، فلمّا دخل بلدجي قال جغري، على عادته: خذوه، فأُخذ وقُتل، ونُهبت أمواله.

وكان لبلدجي، من جملة حصونه، قلعة إصطَخْر، وهي من أمنع القلاع وأحصنها، وكان بها أهله وذخائره، وقد استناب في حفظها وزيراً له يُعرف بالجهرميّ، فعصى[٤] عليه، وأخرج إليه أهله وبعض المال، ولم تزل في يد الجهرميّ حتّى وصل جاولي إلى فارس فأخذها منه، وجعل فيها أمواله.

وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة، وهم خلق كثير لا يحصَون، ومقدّمهم الحسن بن المبارز، المعروف بخسرو، وله فَسا وغيرها، فراسله جاولي ليحضر خدمة جغري، فأجاب: إنّني عبد السلطان، وفي طاعته، فأمّا الحضور فلا سبيل إليه، لأنّني قد عرفتُ عادتك مع بلدجي وغيره، ولكنّني أحمل إلى السلطان ما يؤثره. فلمّا سمع جاولي جوابه علم أنّه لا مقام له بفارس معه، فأظهر العَود إلى السلطان، وحمل أثقاله على الدوابّ، وسار كأنّه يطلب السلطانَ، ورجع الرسول إلى خسرو فأخبره، فاغترّ وقعد للشرب، وأمِن.

وأمّا جاولي فإنّه عاد من الطريق إلى خسرو جريدةً في نفر يسير، فوصل إليه وهو مخمور نائم، فكبسه، فأنبهه أخوه فضلُوه، فلم يستيقظ، فصبّ عليه الماء البارد، فأفاق، وركب من وقته وانهزم، وتفرّق أصحابه، ونهب جاولي ثقله وأمواله، وأكثر القتل في أصحابه، ونجا خسرو إلى حصنه، وهو بين جبلَيْن، يقال لأحدهما أُنْجُ.

وسار جاولي إلى مدينة فَسا فتسلّمها؛ ونهب كثيراً من بلاد فارس منها[٥] جَهْرَم، وسار إلى خسرو، وحصره مدّة، وضيّق عليه، فرأى من امتناع حصنه وقوّته، وكثرة ذخائره ما علم [معه] أنّ المدّة تطول عليه، فصالحه ليشتغل بباقي بلاد فارس، ورحل

---

(١) في الأوربية: «الما».

(٢) في نسخة بودليان: «وشرماوه».

(٣) في الأوربية: «بالفرسية».

(٤) في الأوربية: «فعصا».

(٥) في الأوربية: «منهم».

عنه إلى شِيرَازَ، فأقام بها، ثم توجّه إلى كازَرُون فملكها، وحصر أبا سعد محمّد بن ممّا في قلعته، وأقام عليها سنتَيْن صيفاً وشتاء، فراسله جاولي في الصلح، فقتل الرسول، فأرسل إليه قوماً من الصوفيّة، فأطعمهم الهريسة والقطائف، ثم أمر بهم فخيطت أدبارهم وأُلقوا في الشمس فهلكوا؛ ثم نفد ما عند أبي سعد، فطلب الأمان فأمّنه، وتسلّم الحصن.

ثم إنّ جاولي أساء معاملته، فهرب، فقبض على أولاده، وبثّ الرجال في أثره، فرأى بعضهم زنجيّاً يحمل شيئاً، فقال: ما معك؟ فقال: زادي؛ ففتّشه، فرأى دجاجاً، وحَلواء السكر، فقال: ما هذا من طعامك! فضربه، فأقرّ على أبي سعد، وأنه يحمل ذلك إليه، فقصدوه، وهو في شعب جبل، فأخذه الجنديُّ وحمله إلى جاولي فقتله.

وسار إلى دَارَابْجِرْد، وصاحبها اسمه إبراهيم، فهرب صاحبها منه إلى كَرمان خوفاً منه، وكان بينه وبين صاحب كَرمان صِهر، وهو أرسلانشاه بن كرمانشاه بن أرسلان بك بن قاورت، فقال له: لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولي؛ وطلب منه النجدة.

وسار جاولي بعد هربه منه إلى حصار رتيل رننه[1]، يعني مضيق رننه[2]، وهو موضع لم يؤخذ قهراً قطّ، لأنّه وادٍ نحو فرسخين، وفي صدره قلعة مَنيعة على جبل عالٍ، وأهل دَارَابْجِرْدَ يتحصّنون به إذا خافوا، فأقاموا به، وحفظوا أعلاه.

فلمّا رأى جاولي حصانته سار يطلب البرّيّة نحو كَرْمان، كاتماً أمره، ثم رجع من طريق كَرْمان إلى دَارَابْجِرْدَ، مُظهراً أنّه من عسكر الملك أرسلانشاه، صاحب كَرمان، فلم يشكّ أهل الحصن أنّهم مدد لهم مع صاحبهم، فأظهروا السرور، وأذنوا له في دخول[3] المضيق، فلمّا دخله وضع السيف فيمن هناك، فلم ينج غير القليل، ونهب أموال أهل دارَابْجِرْدَ وعاد إلى مكانه، وراسل خسرو[4] يعلمه أنّه عازم على التوجّه إلى كَرمان، ويدعوه إليه، فلم يجد بدّاً من موافقته، فنزل إليه طائعاً، وسار معه إلى كَرمان، وأرسل إلى صاحبها القاضيَ أبا طاهر عبد الله بن طاهر قاضي شِيراز، يأمره بإعادة الشوانكارة لأنّهم رعيّة السلطان، يقول: إنّه متى أعادهم عاد عن قصد بلاده، وإلاّ قصده؛ فأعاد صاحب كَرمان جواب الرسالة يتضمّن الشفاعة فيهم، حيث استجاروا به.

---

(١) في الباريسية: «رسه»، وفي نسخة بودليان أيضاً.

(٢) في الباريسية: «رسه»، وفي بودليان»: «رسه».

(٣) في الأوربية: «الدخول».

(٤) في الأصل: «خسره».

ولمّا وصل الرسول إلى جاولي أحسن إليه، وأجزل له العطاء، وأفسده على صاحبه، وجعله عيناً له عليه، وقرّر معه إعادة عسكر كَرمان ليدخل البلاد وهم غارّون، فلمّا عاد الرسول وبلغ السِّيرَجَان، وبها عساكر صاحب كرمان، ووزيره مقدم الجيش، أعلم الوزير ما عليه جاولي من المقاربة، وأنّه يفارق ما كرهوه، وأكثر من هذا النوع، وقال: لكنّه مستوحش من اجتماع العساكر بالسِّيرَجَان، وإنّ أعداء جاولي طمعوا فيه بهذا العسكر، والرأي أن تعاد العساكر إلى بلادها.

فعاد الوزير والعساكر، وخلَت السّيرَجَان، وسار جاولي في أثر الرسول، فنزل بفَرَجَ[1]، وهي الحدّ بين فارس وكَرْمان، فحاصرها، فلمّا بلغ ذلك ملك كَرمان أحضر الرسول وأنكر عليه إعادة العسكر، فاعتذر إليه. وكان مع الرسول فرّاش لجاولي ليعود إليه بالأخبار، فارتاب به الوزير، فعاقَبَه، فأقرّ على الرسول، فصُلب، ونُهبت أمواله، وصُلب الفرّاش، وندب العساكر إلى المسير إلى جاولي، فساروا في ستّة آلاف فارس.

وكانت الولاية التي هي الحدّ بين فارس وكرمان بيد إنسان يسمّى موسى، وكان ذا رأي ومكرٍ، فاجتمع بالعسكر، وأشار عليهم بترك الجادّة المسلوكة، وقال: إنّ جاولي محتاط[2] منها؛ وسلك بهم طريقاً غير مسلوكة، بين جبالٍ ومضايق.

وكان جاولي يحاصر فَرَجَ، وقد ضيّق على من بها، وهو يُدمن الشرب، فسيّر أميراً في طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كَرْمان، فسار الأمير، فلم يرَ أحداً، فظنّ أنّهم قد عادوا، فرجع إلى جاولي، وقال: إنّ العسكر كان قليلاً، فعاد خوفاً منّا؛ فاطمأنّ حينئذٍ جاولي، وأدمن شرب الخمر.

ووصل عسكر كَرْمان إليه ليلاً، وهو سكران، نائم، فأيقظه بعض أصحابه وأخبره، فقطع لسانه، فأتاه غيره وأيقظه وعرّفه الحال، فاستيقظ وركب وانهزم، وقد تفرّق عسكره منهزمين، فقُتل منهم وأُسر كثير، وأدركه خسرو وابن أبي سعد الذي قتل جاولي أباه، فسارا معه في أصحابهما، فالتفت، فلم يرَ معه أحداً من أصحابه الأتراك، فخاف على نفسه منهم، فقالا له: إنّا لا نغدر بك، ولن ترى منّا إلاّ الخير والسلامة وسارا معه، حتّى وصل إلى مدينة فَسا، واتّصل به المنهزمون من أصحابه، وأطلق صاحب كَرمان الأسرى وجهّزهم، وكانت هذه الوقعة في شوّال سنة ثمانٍ وخمسمائة.

---

(١) في الأصل: «بفرح».

(٢) في الأوربية: «محتاطاً».

وبينما جاولي يدبّر الأمر ليعاود كَرمان، ويأخذ بثأره، توفّي الملك جغري ابن السلطان محمّد، وعمره خمس سنين، وكانت وفاته في ذي الحجّة سنة تسع وخمسمائة، ففتّ ذلك في عضُده، فأرسل ملك كَرمان رسولاً إلى السلطان، وهوَ ببغداذ، يطلب منه مَنع جاولي عنه، فأجابه السلطان أنّه لا بدّ من إرضاء جاولي وتسليم فَرَج إليه، فعاد الرسول في ربيع الأوّل سنة عشرٍ وخمسمائة، فتوفّي جاولي، فأمِنوا ما كانوا يخافونه[1]، فلمّا سمع السلطان سار عن بغداذ إلى أصبهان، خوفاً على فارس من صاحب كَرمان[2].

ذكر فتح جبل وَسْلات وتونس

في هذه السنة حصر عسكر عليّ بن يحيى، صاحب إفريقية، مدينة تُونُس، وبها أحمد بن خُراسان، وضيّق على مَنْ بها، فصالحه صاحبها على ما أراد.

وفيها فتح أيضاً جبل وَسْلات[3] بإفريقية، واستولى عليه، وهو جبل منيع، ولم يزل أهله، طول الدهر، يفتكون بالناس، ويقطعون الطريق، فلمّا استمرّ ذلك منهم سيّر إليهم جيشاً، فكان أهل الجبل ينزلون إلى الجيش، ويقاتلون أشدّ قتال، فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود إلى الجبل من شعبٍ لم يكن أحد يظنّ أنّه يصعد منه، فلمّا صار في أعلاه، في طائفة من أصحابه، ثار إليه أهل الجبل، فصبر لهم، وقاتلهم فيمن معه أشدّ قتالٍ، وتتابع الجيش في الصعود إليه، فانهزم أهل الجبل، وكثر القتل فيهم، ومنهم مَنْ رمى[4] نفسه فتكسّر، ومنهم من أفلت؛ واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل، فلمّا أحاط بهم الجيش طلبوا أن يُرسِل إليهم من يصلح حالهم، فأرسل إليهم جماعة من العرب والجند، فثار بهم أولئك بالسلاح، فقتلوا بعضهم، وطلع الباقون إلى أعلى القصر، ونادوا أصحابهم من الجيش، فأتوهم وقاتلوهم: بعضهم من أعلى القصر، وبعضهم من أسفله، فألقى مَن فيه من أهل الجبل أيديهم، فقُتلوا كلّهم[5].

---

(1) من بودليان.

(2) المنتظم ٩/١٨٥ رقم ٣١٤ (١٧/١٤٧ رقم ٣٨٣٥)، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٢٩، تاريخ الإسلام ٣٧، تاريخ ابن الوردي ٢/٢٣.

(3) جاء في الروض المعطار ٦١٢: «وأسللت، جبل عظم طوله يومان، وبينه وبين القيروان خمسة عشر ميلاً، وفيه عمارات ومياه جارية، وفيه حصون عامرة كثيرة».

(4) في الأوربية: «رما».

(5) تاريخ الإسلام ٣٧، ٣٨.

ذكر الفتنة بطوس

في هذه السنة، في عاشوراء، كانت فتنة عظيمة بطُوس، في مشهد عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام.

وسببها: أنّ علويّاً خاصم، في المشهد، يوم عاشوراء، بعض فقهاء طُوس، فأدّى ذلك إلى مضاربة، وانقطعت الفتنة، ثم استعان [كلٌّ] منهما بحزبه[١]، فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طُوس، وأحاطوا بالمشهد وخرّبوه، وقتلوا مَنْ وجدوا، فقُتل بينهم جماعة ونُهبت أموال جمّة، وافترقوا.

وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه، فبنى[٢] عليه عضُد الدّين فرامرز بن عليّ سوراً منيعاً يحتمي به مَن بالمشهد على من يريده بسوء، وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة[٣].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظاميّة ببغداذ، فاحترقت الأخشاب التي بها، واتّصل الحريق إلى درب السلسلة، وتطاير الشرر إلى باب المراتب، فاحترقت منه عدّة دُور، واحترقت خزانة كتب النظاميّة، وسَلِمت الكتب، لأنّ الفقهاء لمّا أحسّوا بالنار نقلوها[٤].

[الوفيات]

وفيها توفّي عبد الله بن يحيى بن محمّد بن بهلول أبو محمّد الأندلسيُّ، السَّرقُسْطيُّ، وكان فقيهاً، فاضلاً، ورد العراق نحو سنة خمسمائة، وسار إلى خُراسان، فسكن مَرْو الرُّوذ، فمات بها، وله شِعر حَسَن، فمنه:

وَمُهَفْهَفٍ يَختالُ في أبرادِهِ ... مَرَحَ القَضيب اللّدْنِ تحتَ البارِحِ
أبصرتُ في مرآةِ فكري خَدَّهُ ... فحكيتُ فِعْلَ جفُونهِ بجَوارِحي

(١) في الأوربية: «بخربه».

(٢) في الأوربية: «فبنا».

(٣) تاريخ الإسلام ٣٨.

(٤) المنتظم ٩/ ١٨٤ (١٧/ ١٤٥)، مرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ٦٢، الدرّة المضية ٤٧٩، تاريخ الإسلام ٣٨، عيون التواريخ ١٢/ ٦٤.

ما كنتُ أحسِبُ أنّ فِعْل تَوهّمي يَقوى تَعدّيهِ فيجرحُ جارِحي
لا غروَ إن جَرحَ التّوهّم خَدَّه فالسِّحرُ يَعمَلُ في البَعيد النّازحِ

وفيها، في شعبان، توفّي أبو القاسم عليُّ بن أحمد [بن محمّد][1] بن بيان[2] الرّزّاز[3]، ومولده في سفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وهو آخر من حدّث عن أبي الحسن بن مَخْلَد، وأبي القاسم بن بِشْران.

وفيها توفّي أبو بكر محمّد بن منصور[4] بن محمّد بن عبد الجبّار السمعانيُّ، رئيس الشافعيّة، بمَرْو، ومولده سنة ستّ وأربعين[5]، وأربعمائة، وسمع الحديث الكثير وصنّف فيه، وله فيه أمالٍ[6] حسنة، وتكلّم على الحديث، فأحسن ما شاء.

وفيها توفّي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكَلْوَذانيُّ[7] أبو الخطّاب الفقيه الحنبليُّ، ومولده سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وتفقّه على أبي يعلى بن الفرّاء.

---

(١) في طبعة صادر ١٠/٥٢٣: «علي بن محمد بن أحمد»، والتصحيح من مصادر ترجمته.
(٢) في الباريسية: «بمان»، وفي بودليان: «بيان».
(٣) في المنتظم بطبعتيه ٩/١٨٦ رقم ٣١٦ /و ٣٧/١٤٧، ١٤٨ رقم (٣٨٣٨): «الوزان»، والمثبت هو الصحيح كما في مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٠ هـ.) ص ٢٤٧ رقم ٢٩٨.
(٤) انظر عن (محمد بن منصور) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٠ هـ.) ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢ رقم ٣١١، وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٥) في هامش الباريسية: «وثلاثين».
(٦) في الأوربية: «أمالي».
(٧) انظر عن (الكلوذاني) في: تاريخ الإسلام (وفيات ٥١٠ هـ.) ص ٢٥١ ـ ٢٥٣ رقم ٣٠٣، وفيه حشدت مصادر ترجمته.